

منهج القرآن الكريم في حماية النزاهة ومكافحة الفساد

إعداد

د/عايدة أحمد مخلص

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

منهج القرآن في حماية النزاهة ومكافحة الفساد

عايدة أحمد مخلص

قسم التفسير وعلوم القرآن .كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات . جامعة الأزهر . فرع المنصورة

البريد الالكتروني :**dr.ayda.mokhles@gmail.com**

الملخص

بدأت الباحثة بحثها بمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، وخطة البحث ومنهجه ثم افتتحت خطتها بتمهيد حددت فيه مفاهيم ومفردات عنوان البحث ثم شرعت في المبحث الأول وعنوانه: منهج القرآن الكريم في حماية النَّزاهة، ثم الثاني وهو: منهج القرآن الكريم في مكافحة الفساد، والثالث وعنوانه: أشكال الفساد كما صوّرها القرآن الكريم. ثم الرابع: أثار الفساد كما صوّرها القرآن الكريم وأخيرا الخامس وهو: عقوبة المفسدين في الدنيا والآخرة ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: **(منهج – حماية – النزاهة – مكافحة – الفساد).**

The approach of the Qur’an in protecting integrity and combating corruption

Aida Ahmed Mukhlis
Department of Interpretation and Qur’an Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al Azhar university , Mansoura Branch, Egypt.
Email: dr.ayda.mokhles@gmail.com

Abstract:

The researcher began her research with an introduction in which she mentioned the importance of the topic and the reasons for choosing it, the previous studies, the research plan and its approach. Then she opened her plan with a preface in which she defined the concepts and vocabulary of the title of the research. After that she started the first topic which is entitled: The approach of the Holy Qur'an in protecting integrity. As for the second: The approach of the Holy Qur'an in struggling corruption. The third is entitled: The forms of corruption as the Holy Qur'an depicted them. Then, the fourth: The effects of corruption as the Qur'an depicted them. Finally, the fifth: The punishment of corruptors in this world and in the hereafter.

Then she concluded the research showing the most important results and recommendations.

Key words: Approach - Protection - Integrity - Combating – Corruption .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فمن منن الله تعالى على بلادنا أنها تسعى إلى مكافحة الفساد بكل صوره وأشكاله، من خلال مبادئ الدين الإسلامي، الذي يعد الفساد جريمة بشعة يعاقب عليها القانون، حيث وضع منهج حماية ووقاية من الفساد المالي والإداري، لكى تستقيم شؤون البلاد والعباد، وتنعم الدول بثمار منهج الإصلاح وسعة العيش ورغده، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُون ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فالبلد الطيب يخرج نباته سريعاً بهجاً عند نزول الغيث، والبلد الخبيث لا يكاد ينبت، فإن أنبت أخرج نبتاً خبيثاً لا خير فيه، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، يقول ابن عاشور في تفسيره: «أي: ولو أن أهل تلك القرى المهلكة آمنوا بما جاءهم به رسولُهم واتقوا ربَّهم لما أصبناهم بالبأساء، أي: ما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم»(١).

هذا ولما كانت حماية النَّزاهة ومكافحة الفساد بجميع أشكاله من المبادئ الثابتة في الشريعة الإسلامية والأنظمة الدولية، وجدت من الأهمية

---

(١) التحرير والتنوير (٩/٢٠)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.

تأصيل ثوابت هذا الموضوع من القرآن الكريم، لبيان أن القرآن الكريم مصدر جامع لكل منظومة الإصلاح في مختلف جوانب الحياة.

قال الإمام الشافعي: «فليست تنْزل بأحد من أهل دين الله نازلةٌ إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها قال الله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]. وقال: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] وقال ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]»[١].

أسباب اختيار الموضوع:

- لما للموضوع من أثر شديد في توجيه سلوك الإنسان المسلم، إتباعًا لما أمر الله به وانزجارًا عما نهى الله عنه، والحض على التسابق إلى الفضائل والخيرات وترك الرذائل والمنكرات.
- الرغبة في الاشتغال بمنابع الوحي، ومنشأ هذه الرغبة هو: الظفر بثواب قراءة القرآن وتدبره، والاستجابة لنداء الخالق بتحصيل أول ما يفيد الإنسان ويصلح حاله وهو القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] ألا ما أجمل قراءة القرآن! وما أجمل مدراسته بمنهج يستمد أصوله من منبع الوحي.

(١) الرسالة: الإمام الشافعي (١/٢٠)، ط: دار الكتب العلمية، تحقيق: أحمد شاكر.

الدراسات السابقة:

إن موضوع البحث وهو (منهج القرآن الكريم في حماية النزاهة ومكافحة الفساد) من الموضوعات القرآنية المهمة التي ركز القرآن عليها، وقد تناوله بعض الباحثين من عدة جوانب غير ما تم تناوله هنا وهو - من وجهة نظري - أولى وأحق بأن توجه إليها الطاقات وتستفرغ فيها الجهود؛ لأن المسلمين وخاصة في هذه الآونة في أشد الجاحة إلى إيقاظ كل ذرة في كيانهم، وبعث ووصل كل ذرة تربطهم بالقرآن.

كما كانت هذه الدراسة لإظهار أنواع الفساد وصوره كما يعرضها كتاب الله تعالي، وقد سبق عدة بحوث حول هذا الموضوع منها:

١- الفساد والمفسدون دراسة قرآنية موضوعية، أ/ ضيائي نعمان السوسي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، ص ١٦٧ - ص ٢٠٠، يونيه ٢٠٠٧م.

٢- مفهوم الفساد وأنواعه في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، لمؤلفه البشير علي أحمد الترابي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ. تم فيه تعريف الفساد لغة واصطلاحا، مع استعراض لفظة الفساد في السياق القرآني بين الآيات المكية والمدنية، مما أغني عن إعادته في هذه الدراسة.

لذا حرصت على الكتابة فيه، راجيًة من الله تعالى التوفيق والسداد، مبتغيةً به وجهه الكريم وفضله العظيم.

هذا وتنقسم خطة البحث إلى تمهيد وخمسة مباحث:

- التمهيد: تحديد المفاهيم "مفردات البحث" وهى: (حماية النزاهة – مكافحة الفساد).
- المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في حماية النَّزاهة.
- المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في مكافحة الفساد.
- المبحث الثالث: أشكال الفساد كما صوّرها القرآن.
- المبحث الرابع: آثار الفساد كما صوّرها القرآن.
- المبحث الخامس: عقوبة المفسدين في الدنيا والآخرة.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

- إن المنهج الذي أسير عليه في هذه المحاولة المتواضعة من بدايتها إلى نهايتها هو منهج الاستقراء والاستنباط، وفيما يأتي إبراز للخطوات التي قمت بها:
- معرفة المعنى اللغوى للمادة والتفرقة بينه وبين المعنى الاصطلاحي.
- جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع.
- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة موضوعة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير مقدمَةً أمهات كتب التفسير، ثم ما جدَّ بعد ذلك من تفاسير المتأخرين والمعاصرين والاطلاع على الدراسات والأبحاث القرآنية التي لها صلة بالموضوع.
- شرح المفردات – التي تحتاج إلى ذلك – بالرجوع إلى كتب معاني القرآن، كالمفردات للراغب الأصفهاني وغيره.
- الالتزام بالأمانة العلمية وعزو كل النقولات إلى مصادرها.

- استخلاص الدلالات والعبر واللطائف، مع الربط بحاجات ومشكلات العصر في بعض المواضع قدر الإمكان.
- ترقيم الآيات وذكر سورها.
- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وذلك بالرجوع إلى كتب السنة والحكم عليها بالصحة أو عدمها.

هذا ولا أدعى فى بحثى تفرداً أو تميزاً فقد كنت فيه عالة على أسلافنا وعلماؤنا وأئمتنا، وجهدى فيه وإن تضاعف فهو قليل، وإذا كان فيه من صواب وتوفيق فمن الله تعالى وحده وله الفضل والمنة، وإن كان فيه من خطأ أو نسيان أو تقصير فمنى ومن الشيطان، وحسبى إخلاص النية، وأسال الله تعالى أن يباركه، وأن يتقبله بقبول اللهم آمين.

|||

تمهيد

تحديد المفاهيم

(حماية النزاهة - مكافحة الفساد)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم حماية النزاهة

المطلب الثاني: مفهوم مكافحة الفساد

المطلب الأول
مفهوم حماية النَّزاهة

(أ) مفهوم الحماية:

الحماية في اللغة: **من حمى الشيء يحميه حمى وحماية بالكسر، ومحمية: منعة، وحمى المريض ما يضره: منعه من إياه فاحتمى، وتحمَّى امتنع. ويقال: وتَحاماهُ الناسُ: تَوَقَّوْهُ، واجْتَنَبُوهُ**[1].

والحماية في الاصطلاح: **هي وقاية شخص أو مال أو غيره من المخاطر، وضمان أمنه وسلامته عن طريق وسائل قانونية أو مادية، وتدل كذلك على عمل الحماية ونظامها على حد سواء، وهي مرادة للوقاية، وهي مجموعة تدابير قانونية أو اجتهادية تعطي حق الوقاية والدفاع عن الحقوق**[2].

(ب) مفهوم النَّزاهة:

النَّزاهة في اللغة: **بمعنى التباعد، والبعد عن السوء، والرجل: تباعد عن كل مكروه، فهو نزيه. ونازه النفس: عفيف متكرم، يحل وحده، ولا يخالط البيوت بنفسه ولا ماله**[3].

والنَّزاهة في الاصطلاح: **عبارة عن اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم إلى الغير**[4].

---

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي (ص: ١٢٧٧)، باب: الواو والياء، فصل الحاء.

(٢) معجم المصطلحات القانونية: جيرار كورنو (ص: ٧٢٧).

(٣) القاموس المحيط (ص: ١٢٥٤)، باب: الهاء فصل النون.

(٤) القاموس المحيط (ص: ١٢٥٤)، باب: الهاء فصل النون.

والحقيقة أن النَّزاهة لا تقتصر على اكتساب المال، بل هي منظومة القيم المتعلقة بالصدق والأمانة، والإخلاص، والاستقامة، والبعد عن السوء، والتفاني في العمل، وتنمية ضمير الشخص؛ حيث إن الضمير هو القوة المحركة للإنسان نحو دوافع الخير والبعد عن الشر، وهو الذي يوجه المشاعر الإنسانية نحو معيار الرضا والاستحسان أو التأنيب والندم، وقد أحسنت الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد لَما اتخذت شعارها كلمة (نزاهة)؛ حيث إنها الهدف الأسمى الذي تنشد الوصل إليه.

|||

المطلب الثاني
مفهوم مكافحة الفساد

(أ) مفهوم المكافحة:

قال ابن منظور: "الْمُكافَحَةُ: الْمُضَارَبَةُ وَالْمُدَافَعَةُ تِلْقَاءَ الْوَجْهِ، وَيُرْوَى نافَحْتَ، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ. وكَفَحه بِالْعَصَا كَفْحاً: ضَرَبَهُ بِهَا"[١].

وفي الاصطلاح: **هي تلك الوسائل والأدوات التي تؤدي إلى منع شيء ما.**

(ب) مفهوم الفساد:

الفساد في اللغة: **الفساد: "الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد"[٢].**

ويقال: **"قوم فَسدى كما قالوا: ساقط وسقطى، قال سيبويه: جمعوه جمع هلكى لتقاربهما في المعنى ... وتَفَاسد القوم تدابروا وقطعوا الأَرحام ... والمفسدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح ... وقالوا: هذا الأمر مفسدة لكذا أَي فيه فساد وفَسَّد الشيء إذا آباره"[٣].**

وقيل: **الفساد: "بمعنى الجدب، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]. وقيل: الفساد هنا الجدب في البر، والقحط في البحر، أَي في**

---

(١) لسان العرب (٥٧٣/٢)، ط: دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ.

(٢) مقاييس اللغة (ص: ٧٤٨)، ط: دار الفكر.

(٣) لسان العرب (٣٣٥/٣ – ٣٣٦).

المدن التي على الأَنهارِ[١].

وقيل: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة[٢].

الفساد اصطلاحاً:

قال الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية"[٣].

وقال أبو حيان: " الفساد: التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة"[٤].

وقال البيضاوي: "والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال"[٥].

وقال المنصوري[٦]: "الفساد يتناول جميع أنواع الإثم، فمن عمل بغير أمر الله فهو مفسد"[٧].

---

(١) معاني القرآن، الزجاج (١٨٨/٤)، ط: عالم الكتب، بيروت.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ٦٣٦)، ط: دار القلم. الدار الشامية – دمشق ١٤١٢هـ.

(٣) جامع البيان (٩٧/١)، ط: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.

(٤) البحر المحيط (١٩١/١)، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.

(٥) أنوار التنْزيل وأسرار التأويل (٢٨/١)، ط: دار احياء الثراث العربى، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

(٦) ولد في مدينة حصن بالمنصور عام (١٠٧هـ)، واسمه: مصطفى بن ميمش ابن الحسين، صاحب تفسير مقتطف من عيون التفاسير توفي سنة (١٣٩٠هـ) ودفن في إسطنبول. انظر: المقتطف من عيون التفاسير مصطفى الحصن المنصوري، مقدمة الكتاب (بيد: إبراهيم طانير – أحد أصدقاء المؤلف).

(٧) المقتطف من عيون التفاسير، مصطفى الحصن المنصوري (ص: ٣٩)، ط: دار القلم، بيروت، ط: الأولى ١٤١٧هـ.

وخلاصة القول:

إن الفساد نقيض الصلاح، وأخذ المال ظلماً، مأخوذ من فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً، وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها، والمفسدة خلاف المصلحة، والجمع المفاسد[1].

وقد تحدث القرآن الكريم عن الفساد في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

قال القرطبي في معرض حديثه عن نماذج من الفساد في البر والبحر: "اختلف العلماء في معنى الفساد في البر والبحر، فقال قتادة والسدي: الفساد الشرك، وهو أعظم الفساد ... قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية... وقيل: الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش، وقيل: الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم، أي صار هذا العمل مانعًا من الزرع والعمارات والتجارات، والمعنى كله متقارب"[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

قال القرطبي في تفسيره: "أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق؛ أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى

---

(١) لسان العرب (٣/٣٣٥)، الجامع لأحكام القرآن (١/٢٠٢)، ط: دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٣هـ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٠).

عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب"[1].

أما عندما نتحدث عن الفساد الاقتصادي في الدوائر والهيئات الحكومية فإنا نقصد به إساءة استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص، أي استثمار الموظف في الدولة والمؤسسة العامة أو الخاصة للمصلحة العامة بهدف خدمة مآرب ومنافع خاصة.

|||

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/١١٤).

المبحث الأول

منهج القرآن الكريم في حماية النزاهة

وضع القرآن الكريم منهجاً متكاملاً لحماية النَّزاهة ومكافحة الفساد يقوم على محاور أربعة، هي:

الأول: الرقابة الذاتية.
الثاني: تقوية الأمانة المالية.
الثالث: القدوة من كبار الموظفين لمن تحت سلطتهم.
الرابع: تعيين الكفء الأمين.

ومن شأن هذه المحاور حال توافرها تحقيق ما يسمى بالإدارة الرشيدة أو الحكم الجيد أو الحوكمة، التي لها أهمية كبرى في تطوير مؤسسات الدولة والشركات المختلفة، وذلك من خلال علاقتها بآليات وإجراءات الإصلاح المالي والإداري.

ولذلك كان تقسيم هذا المبحث إلى مطالب أربعة:

المطلب الأول

الرقابة الذاتية في ضوء المنهج القرآني

مشروعية العمل بالرقابة في الإسلام ثابتة في القرآن الكريم.

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠] قال الألوسي: "أصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية، ومنه الرقيب، ثم استعمل في مطلق الرعاية(١)، وقال في الآية الثانية: "لَا يَرْقُبُونَ": عدم المراعاة"(٢).

وقال القرطبي: "يَرْقُبُوا": يحافظوا، و"الرَّقِيبَ" [المائدة: ١١٧]: هو الحافظ"(٣).

<u>أهمية الرقابة الذاتية من منظور شرعي:</u>

من الثابت أن الإسلام قبل أن يوجب الرقابة الخارجية، ويؤكد حق ولي الأمر في تطبيقها ويجعلها جزءًا من واجباته، فإنه يحرص – قبل ذلك – على بناء الرقابة الذاتية، وذلك كأصل من أصول الدين، يتمثل في الإيمان بيوم الحساب الذي يحاسب فيه كل عبد على كل ما عمل في هذه الحياة الدنيا، وتتجلى أهمية الرقابة الذاتية – في ضوء المنهج – في تقرير مسؤولية

---

(١) روح المعاني (٢٥٠/٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

(٢) المرجع السابق (٢٥١/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧٩/٨).

العامل وصاحب المنصب، وبيانه:

" أن كثيرًا من الناس يحبُ أن يكون من أهل المناصب والمسؤولية؛ لأنه ينظر إلى ما يحصله صاحب المنصب من شهرة ومكانة، ولكنه ينسى أن المنصب تكليف لا تشريف، وأنه مسؤول أمام الله تعالى عن عمله". وقد تواترت بذلك الكثير من الآيات القرآنية، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال ابن عاشور: "والمراد بالعمل ما يشمل العمل النفساني من الاعتقاد والنية، وإطلاق العمل على ما يشمل ذلك تغليب وتفريع" فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ" زيادة في التحضيض، وفيه تحذير من التقصير أو من ارتكاب المعاصي؛ لأن كون عملهم بمرأى من الله مما يبعث على جعله يرضي الله تعالى"(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] وفي الآية دليل على أن الشارع قد نمى الرقابة الذاتية بذكر ما للعدل من ثواب، وما للجور من عقاب.

قال ابن عاشور: "وفي الآية الكريمة تمثيل للحالتين بحالتين باختلاف وجه الشبه، فاعتبر هنا المعنى الحاصل من حال الأبكم، وهو العجز عن الإدراك، وعن العمل، وتعذر الفائدة منه في سائر أحواله، والمعنى الحاصل من حال الرجل الكامل العقل والنطق في إدراكه الخير وهديه إليه وإتقان عمله

(١) التحرير والتنوير: (١١/٢٥).

وعمل من يهديه، ضربه الله مثلاً لكماله وإرشاده الناس إلى الحق، ومثلاً للأصنام الجامدة التي لا تنفع ولا تضر"[1].

٣- الرقابة الذاتية الصادرة من الشارع أقوى من الرقابة العامة، وأن أساس هذه الرقابة ما يستشعره كل مسلم من رقابة لله تعالى؛ لأنه يعلم أن الله تعالى مطَّلِعٌ على كل ما يُسِرُّه وما يخفيه، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧] ويعلم أن الله يراقبه في كل شيء، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. وهذه الرقابة الذاتية التي يقوم بها كل مسلم على نفسه أياً كان موقعه تفرض عليه الرقابة المستمرة والمحاسبة الدائمة على كل تصرف تم اتخاذه.

وفي الآيات جميعها تذكيرٌ للمسلم دائماً بأنه سيلقى الله تعالى، وأنه سيحاسب على كافة أفعاله، خاصة إذا كان نائباً عن المسلمين في إنفاق أموالِهم.

|||

---

(١) التحرير والتنوير (١٤/٢٢٧).

المطلب الثاني

تقوية الأمانة المالية في ضوء المنهج القرآني

إن من أهم الأمانات اللازمة في كل من عيِّن في المنصب الإداري: الأمانة المالية، ومن أصعب أنواع الرقابة تلك التي تكون على الاختلاسات المالية اليسيرة، والتعدي على الممتلكات العامة، وهذا من خيانة الأمانة، والآيات القرآنية الواردة في هذا المقام كثيرة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه -ﷺ-: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ" صدقوا الله ورسوله "لَا تَخُونُوا اللَّهَ" وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله والمؤمنين الإيمانَ في الظاهر والنصيحةَ، وهو يَسْتَسِرّ الكفر والغش لهم في الباطن، يدلُّون المشركين على عورتِهم، ويخبرونَهم بما خفي عنهم من خبرهم"[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

قال سيدنا علي -رضي الله عنه- في تفسير هذه الآية كلماتٍ أصاب فيهن: "حقٌّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدِّيَ الأمانة، وإذا فعل ذلك، فحقّ على الناس أن يسمعوا، وأن يُطيعوا، وأن يجيبوا إذا دُعوا"[(٢)].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١١/١٢٠).

(٢) المرجع السابق (٨/٤٩٠).

وقد وردت أقوال كثيرة في تفسير هذه الآية ذكرها الطبري في تفسيره، ثم قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قولُ من قال: هو خطاب من الله لولاةِ أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقَسْم بينهم بالسوية. يدل على ذلك ما وَعظ به الرعية في قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الرّاعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة" (١).

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

فقد روي أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله -ﷺ- في قطيفة فُقدت من مغانم القوم يوم بدر، فقال بعض من كان مع النبي -ﷺ-: " لعل رسول الله -ﷺ- أخذها!"، ورووا في ذلك روايات، منها:

- حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال، حدثنا خصيف قال، حدثنا مقسم قال، حدثني ابن عباس: أن هذه الآية: "وما كان لنبيّ أن يغل"، نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، قال: فقال بعض الناس: أخذها! قال: فأكثروا في ذلك، فأنزل الله -ﷻ-: " وما كان لنبي أن يغل ومن يغلُل يأت بما غل يوم القيامة "(٢).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٨/٤٩٢).

(٢) الحديث رواه الترمذي في، باب: تفسير القرآن، من طريق قتيبة، عن عبدالواحد بن زياد، بمثله وقال: "هذا حديث حسن غريب"، ونسبه ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٩) إلى أبي داوود، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/٩١) إلى أبي داوود أيضًا.

وجه الدلالة من الآية الكريمة: نفي الغلول والخيانة عن النبي، وقد بين جمهور أهل العلم أن معنى الآية: ما دام أن النبي لا يخون في الغنيمة فليس لأحد أن يخونه في الغنيمة، فالآية في معنى نهي الناس عن الغلول في الغنائم والتوعد عليه، وكما لا يجوز أن يخون النبي، لا يجوز أن يخون غيره من الولاة والحكام، وبينت الآية الكريمة أن كل من يغل شيئًا يأت به حاملاً له على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، مرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد، ويعذبه الله بما أخذ في نار جهنم، أما عقابه في الدنيا فمن حق الإمام أن يسترد المال المغلول، ويؤدبه ويعاقبه بالتعزير، ويضع المال في بيت مال المسلمين، ومن الغلول هدايا العمال، وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغال(١).

في الحديث أن النبي -ﷺ- اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأسْدِ، يُقَالُ لَه: ابنُ اللُّتْبِيَّةِ، قالَ عَمْرٌو: وَابنُ أَبِي عُمَرَ، علَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قالَ: هذا لَكُمْ، وَهذا لِي، أُهْدِيَ لِي، قالَ: فَقَامَ رَسولُ اللهِ -ﷺ- علَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عليه، وَقالَ: « ما بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقولُ: هذا لَكُمْ، وَهذا أُهْدِيَ لِي، أَفَلا قَعَدَ في بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ في بَيْتِ أُمِّهِ، حتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَنَالُ أَحَدٌ مِنكُم منها شيئًا إلَّا جَاءَ به يَومَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ علَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ له رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ، هلْ بَلَّغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ »(٢).

(١) جامع البيان: (٢٥٦/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/٤) وما بعدها، أحكام القرآن: ابن العربي (٤٢/٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: من لم يقبل الهدية لعلة (١٥٩/٣) رقم ٢٥٩٧، ط: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

والآية الكريمة - وإن كانت نزلت في موضوع الخيانة في الغنائم - فإن معناها وحكمها يتعدى إلى كل من يأخذ ما ليس له بحق من الأموال العامة للأمة الإسلامية، سواء أخذه بطريق الرشوة، أو الاختلاس، أو الهدية، أو المحاباة، أو النهبة، ولو كان كذلك بحجم الإبرة، كما وردت بذلك الأحاديث النبوية.

قال رسول الله -ﷺ-: « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيَمِينِهِ، فقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ له النَّارَ، وَحَرَّمَ عليه الجَنَّةَ فَقالَ له رَجُلٌ: وإنْ كانَ شيئًا يَسِيرًا يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: وإنْ قَضِيبًا مِن أَرَاكٍ »(١).

وفي المقابل فإن المتصف بالأمانة له أجر عظيم، فقد قال الله تعالى واصفًا أهل الأيمان: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

وقال رسول الله -ﷺ-: « الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه، أحد المتصدقين »(٢).

وفي الحديث الآخر قال: « العامل بالحق على الصدقة كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته »(٣).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّار (١/١٢٢) برقم ١٣٧، ط: دار احياء التراث العربى، بيروت

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: أجر الخازن الأمين (٢/٧١٠، ح ١٠٢٣)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في العامل على الصدقة بالحق (٣/٣٧ ح ٦٤٥)، وقال أبو عيسى: حديث رافع بن خديج حديث حسن صحيح".

المطلب الثالث

القدوة من كبار الموظفين لمن تحت سلطتهم في ضوء المنهج القرآني

اعتمد القرآن الكريم أسلوب التربية بالقدوة حينما أمر الله سبحانه نبيه بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين، فقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، بمعنى أيها الرسول اتبع ملة هؤلاء الأنبياء الأخيار، وقد امتثل فاهتدى بهدي الرسل من قبله وجمع كل كمال فيهم فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين.

وأكد على أسلوب التربية بالقدوة فطلب من المؤمنين اتخاذ الرسول -ﷺ- القدوة والأسوة الحسنة وطالب المؤمنين بطاعته فيما أمر ونهى طاعة مطلقة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

لقد اعتبر ابن كثير هذه الآية أصلًا كبيرًا في التأسي برسول الله -ﷺ- في أقواله وأفعاله وسائر أحواله، ولهذا أمر الحق -ﷻ- الناس جميعًا بالاقتداء بالنبي الكريم في غزوة الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، سواء وهو مكروب ومحروب فهو يصبر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي.

إن من أهم ما يسهل تحقق النَّزاهة ويكبح جماح الفساد أن يكون كبار الموظفين قدوة لمن دونَهم، وأعظم القدوات نبينا -ﷺ-.

فهو قدوة للقائد المسلم في زهده في المال، والعدل، والحزم، والرحمة، وقدوة للمقاتل في الشجاعة، والتخطيط، وتدبير الحروب، وقدوة للقاضي في سير القضايا، ومراعاة العدل في الأحكام، وقدوة للمعلم في صبره، وتأنيه،

وحسن تعليمه، وقد سار كبار أصحابه على تلك القيم الفضلى والمثل العليا، ومن أعجب ما يروى في ذلك عن عائشة قالت: "لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا في مالي منذ دخلت في الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح (بعير للسقيا) كان يسقي بستانًا له، فبعثنا إلى عمر وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا"[1].

كان الفاروق العظيم عمر بن الخطاب إذا سن قانونًا أو حظر أمرًا أو أراد أن يلزم الناس بشىء من الخير جمع أهله وأقاربه أولا وقال لهم: «إنى قد نهيت الناس عن كذا وكذا .. وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم .. فإن وقعتم وقعوا .. وإن هبتم هابوا .. وإنى والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه منى.. فمن شاء منكم فليتقدم ومن شاء فليتأخر».

عمر بن الخطاب سيضاعف العذاب لمن يقع فى الفساد أو يستلب أموال الدولة أو حتى يقترب منها حتى لو كان من أهله وأسرته أو أقاربه.

خرج مرة إلى السوق فى جولة تفتيشية من جولاته التى يصطاد فيها الفساد والذين يفكرون فقط فى الفساد أو يقتربون منه أو يقاربونه .. فقد كانت لديه قرون استشعار خطيرة للعدل السياسى والاجتماعى.. وفى هذه الجولة رأى إبلًا سمانًا تمتاز عن غيرها فسأل عن صاحبها فقالوا له: هى إبل عبدالله بن عمر .. حينها انتفض «الفاروق» وصاح: عبدالله بن عمر .. بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين «وأرسل فى طلبه حتى وقف بين يديه فسأله عمر:

---

(١) الطبقات الكبرى: ابن سعد (١٩٢/٣)، ط: دار صادر، بيروت، ط: الأولى ١٩٦٨م.

ما هذه الإبل يا عبدالله؟؟»

قال: إنها إبل اشتريتها بمالى وبعثتها إلى المرعى أتاجر فيها وابتغى ما يبتغى المسلمون.

فتهكم عمر من كلامه قائلا: «ويقول الناس حين يرونها ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين .. اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين .. وهكذا تسمن إبلك ويربو ربحك».

ثم صاح فيه آمرا: يا عبدالله .. خذ رأس مالك الذى دفعته فى هذه الإبل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين».

كل ذلك فعله عمر مع ابنه التقى الذى يستثمر ماله الحلال فى تجارة حلال كغيره من الرعية .. ورغم ذلك أصر عمر على إغلاق كل أبواب الشياطين ومنافذ الفساد على نفسه وأسرته وعلى معاونيه وأتباعه.

وتروي لنا كتب التاريخ أنه لَما حملت مغانم العراق بعد فتحها إلى عمر ابن الخطاب -ﷺ- ورأى ما فيها من الجواهر جعل يتعجب ويقول: إن الذي أدى هذا لأمين، فقال عبد الرحمن بن عوف -ﷺ-: أنا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله وهم أمناؤك، فما دمت مؤديًا للأمانة أدوها، ومتى رتعت رتعوا [(١)].

<u>ومن القدوات التي ذكَرها القرآن الكريم نموذجًا للقدوة الحسنة:</u>

ذو القرنين؛ حيث حوَّل المجتمع النظري إلى حقيقة واقعة تتحرَّك في واقع الأرض، وترجَم - بسلوكه وعُلوِّ هِمَّته وتصرُّفاته - مبادئ المنهج

---

(١) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: أبو عبد الله القلعي (ص: ٩٩)، ط: مكتبة المنار، الأردن، ط: الأولى، ونسب القول في الطبري (٥/٢٥٤) وغيره إلى علي.

ومعانيه، ووضَع في شخصه صورة القدوة الحيَّة للقائد الصالح المُصلِح.

وذو القرنين رجل آتاه الله -ﷻ- التمكين والقوة والأسباب، وعُلو الهِمَّة والطموح المحمود؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٤]؛ أي: أقْدَرناه بما مهَّدنا له من الأسباب، وجعَلنا له مُكنة وقُدرة على التصرُّف فيها(١).

فذو القرنين أُوتي من كلِّ شيء يحتاجه أُولو القوة والحُكم، لكنه لَم يَستخدم هذا العطاء في الترف والشهوات، وإنما استخدمه في السعي والحركة في قضاء حوائج الناس، فكان بهذا السلوك ترجمة عملية بشريَّة حيَّة للمنهج الرباني.

فقد فُطِر الناس على افتقاد القدوة والبحث عن الأسوة؛ ليكون لهم نبراسًا يُضيء سبيل الحق، ومثالاً حيًّا يُبيِّن لهم كيف يطبِّقون شريعة الله؛ لذلك لَم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها على الأرض، إلاَّ إرسال الرُّسل، يُبَيِّنون للناس ما أنزَل الله من شريعته(٢).

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤].

فلو لَم يكن ذو القرنين قدوة حسنة للناس باشتهاره في فِعل الخيرات، لَما طَلبوا منه أن يَقيَهم من الفساد، وهكذا اقترَن في مكان واحد القدوة الحسنة والحماية من الفساد؛ أي: إنَّ القدوة الحسنة والإصلاح أمران متلازمان، فالقوم بمجرَّد رؤيتهم ذا القرنين - الذي هو نموذج القدوة الحسنة التي دَفعته

---

(١) فتح القدير (٣/٣٠٨).

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها: النحلاوي (ص: ٢٥٥).

لعلُو الهِمَّة وطلب الكمال - طلبوا منه إصلاحَ أمرهم بمَنْعه يأجوجَ ومأجوج من الإفساد في الأرض.

ثم قال ذو القرنين: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥]، وبقوله: "فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ" أراد تسخيرَهم للعمل، وتنشيطهم وتفعيل إرادتهم، وإذا هم فعَلوا ذلك، فهو أوَّلهم إقبالاً إلى مباشرة العمل؛ "أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا"، وتقديم إضافة الظرف إلى ضمير المخاطبين على إضافته إلى ضمير يأجوج؛ لإظهار كمال العناية بمصالحهم، "رَدْمًا": حاجزًا حصينًا، وبَرزخًا مَتينًا، وهو أكبر من السَّد وأوثق، يقال: ثَوبٌ مُردَّم؛ أي: فيه رقاع فوق رِقاع، وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه[1].

وبمثل هذه الصفات التي اتَّصف بها ذو القرنين، وأنجَز بها من نفسه القدوة الحسنة، يكون تغيير المجتمع وإصلاحه نحو الخير أمرًا حتميًّا؛ لأن العقل إذا اقترَن بالقدوة الحسنة، نتجَت من هذا الاقتران عُلوُّ الهِمَّة والعزيمة الصادقة التي هي المحرِّك للتغيير.

لذا قاوَم ذو القرنين - لَمَّا عَلِم أنه قدوة لقومه - ذلك الفساد والظلم بعُلو هِمَّته، وقوة عزيمته، ولَم يكتف ذو القرنين بأن يُقاوم هذا الظلم بنفسه، بل طلب الإعانة؛ لأنَّ إفساد يأجوج ومأجوج كان إفسادًا جماعيًّا، فلا بدَّ أن يُقابله إصلاح جماعي، فانظر كيف أنَّ القدوة الحسنة دافعٌ للإنسان للعمل والجد، وطلب معالي الأمور، فبالإيمان الحقيقي الذي يحمله ذو القرنين، ترجَم لنا معنى المسارعة للخيرات وحبَّ العمل، وعُلوَّ الهِمَّة في الدنيا والآخرة.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/٢٤٥).

المطلب الرابع

تعيين الكفء الأمين وفق منهج القرآن الكريم

وأما في التعيين الإداري فلا بد أن يكون معيار التعيين في المنصب الإداري هو الكفاءة، بأن يكون أمينًا ذا صلاح وتقوى.

وصفة الأمانة إحدى ركني الولاية، والآيات القرآنية الواردة في هذا المقام كثيرة:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] تقول: إن خير من تستأجره للرعي القويّ على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته، فيما تأمنه عليه[١] وعن ابن عباس قال: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] قال: فأحفظته الغَيْرة أن قال: وما يدريك ما قوّته وأمانته؟ قالت: أما قوّته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلَيَّ حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسُرّي عن أبيها وصدَّقها وظن به الذي قالت"[٢].

ومؤدى الآية الكريمة أن من اجتمعت فيه القوة والأمانة كان جديرًا

---

(١) جامع البيان (٥٦٢/١٩).

(٢) التفسير الكبير (٥٩١/٢٤)، روح المعانى (١١٢/١٥)، تفسير ابن كثير (٢٨٨/٥).

بالريادة والقيادة؛ لأن في تقلده قطع الطريق على موجبات الفساد والإفساد. قال الزمخشري: "وقولها: "إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" كلام حكيم جامع لا يزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان - أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك - فقد فرغ بالك وتم مرادك"[1]. وقال الألوسي: "وقدمت وصف القوة مع أن أمانة الأجير لحفظ المال أهم في نظر المستأجر؛ لتقدم علمها بقوته -عليه السلام- على علمها بأمانته، أو ليكون ذكر وصف الأمانة بعده من باب الترقي من المهم إلى الأهم"[2].

ولكن القوة والأمانة لا يكفيان لتحقيق المقصد الشرعي من القيادة الراشدة ما لم ينضم إليهما الفطنة والكياسة، والشواهد على ذلك كثيرة[3].

---

(١) الكشاف (٣/٤٠٣).

(٢) روح المعاني (١٥/١١٢).

(٣) قال الماوردي: "وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة: أَحَدُهَا: الْعَدَالَةُ عَلَى شُرُوطِهَا الْجَامِعَةِ وَالثَّانِي: الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إلَى الِاجْتِهَادِ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ، وَالثَّالِثُ: سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ مِنْ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ؛ لِيَصِحَّ مَعَهَا مُبَاشَرَةُ مَا يُدْرَكُ بِهَا، وَالرَّابِعُ: سَلَامَةُ الْأَعْضَاءِ مِنْ نَقْصٍ يَمْنَعُ عَنِ اسْتِيفَاءِ الْحَرَكَةِ وَسُرْعَةِ النُّهُوضِ، وَالْخَامِسُ: الرَّأْيُ الْمُفْضِي إلَى سِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ وَتَدْبِيرِ الْمَصَالِحِ، وَالسَّادِسُ: الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ الْمُؤَدِّيَةُ إلَى حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ، وَالسَّابِعُ: النَّسَبُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ؛ لِوُرُودِ النَّصِّ فِيهِ وَانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ، وَلَا اعْتِبَارَ بِضِرَارٍ حِينَ شَذَّ فَجَوَّزَهَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رضي الله عنه- احْتَجَّ يَوْمَ السَّقِيفَةِ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي دَفْعِهِمْ عَنِ الْخِلَافَةِ لَمَّا بَايَعُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ عَلَيْهَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: «الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ» فَأَقْلَعُوا عَنْ التَّفَرُّدِ بِهَا وَرَجَعُوا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا حِينَ قَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، تَسْلِيمًا لِرِوَايَتِهِ وَتَصْدِيقًا لِخَبَرِهِ = = وَرَضُوا بِقَوْلِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ

وقد يقال: إنهما داخلان في الأمانة؛ ولذا روي عن ابن مسعود: «أفرس الناس ثلاثة: بنت شعيب، وصاحب يوسف، وأبو بكر في عمر»(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] قال ابن زيد في قوله: "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ": "كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام قال: فأسلم سلطانه كُلَّه إليه، وجعل القضاء إليه، أمرُه وقضاؤه نافذٌ"(٢).

قال الرازي في بيان سبب طلب نبي الله يوسف -عليه السلام- الولاية المالية: "لما عبر يوسف -عليه السلام- رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعًا كثيرًا، وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام، فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك: ومن لي بهذا الشغل؟ فقال يوسف: اجعلني على خزائن الأرض، أي على خزائن أرض مصر"(٣).

وروى ابن عباس عن النبي -ﷺ- في هذه الآية أنه قال: « رحم الله

وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ، وَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدَّمُوهَا». الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٢٠) ويعبِّر بعض الفقهاء عن هذا الشرط بالحكمة، والحق أنَّ هذه الحكمة غالبًا ما تُكْتَسَب بالخبرة والتجربة، لكن غاية ما ينبغي أن يتوفَّر في المرشَّحِ لمنصب الخليفة أن يكون قادرًا على سياسة الأمور سياسةً دقيقة ناتجة عن حِنْكَة وتجربة وفهمٍ للواقع.

(١) التفسير الكبير (٥٩١/٢٤)، تفسير القرآن العظيم (٣٧٨/٤)، المحرر الوجيز (٢٣١/٣).

(٢) جامع البيان (١٤٩/١٦).

(٣) التفسير الكبير (٤٧٣/١٨).

أخي يوسف لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة »[١].

قال الرازي: "وأقول: هذا من العجائب؛ لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه، ولما تسارع في ذكر الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن ترك التصرف والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى"[٢].

واختلف أهل التأويل في تأويله قوله تعالى: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] فقال بعضهم: معنى ذلك: " إِنِّي حَفِيظٌ " لما استودعتني، "عَلِيمٌ" بما وليتني وممن قال بذلك: ابن إسحاق، وقتادة وغيرهما. وقال آخرون: إني حافظ للحساب، عليم بالألسن، وممن قال بذلك الأشجعي[٣].

قال الطبري: "وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك "إني حافظ لما استودعتني، عالم بما أوليتني"، لأن ذلك عقيب قوله: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٥٥]، ومسألته الملك استكفاؤه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرة في ذلك وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب، ومعرفته بالألسن"[٤].

وزاد السعدي المعنى المراد وضوحًا بقوله: "أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا

(١) ذكره الامام الرازى بنصه هكذا (٤٧٣/١٨) ولم أعثر له على أصل فى متون الحديث.
(٢) السابق (٤٧٣/١٨).
(٣) جامع البيان (١٤٩/١٦)، تفسير العز بن عبد السلام (١٢٧/٢)، ط: دار ابن حزم، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.
(٤) جامع البيان (١٤٩/١٦).

يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حِرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها"[١].

وفي قوله تعالى: "حَفِيظٌ عَلِيمٌ" دليل على جواز تزكية النفس عند حاجة تدعو إلى ذلك[٢].

وتحقيقاً لمقاصد الشريعة من تقلد الولايات العامة في ضوء المنهج القرآني الذي وضعته سورة يوسف (الحفظ والعلم) رسم النبي -ﷺ- منهج الولاية العامة، وجعلها قائمة على هذين الأصلين ففي حديث حذيفة أن النبي -ﷺ- قال لأهل نجران: « لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أمين، قال: فاستشرف له الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح »[٣].

فإن وجد رجل أمين في ضعف، ورجل إداري قوي وليس بأمانة الأول فقال شيخ الإسلام: "إذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد قدِّم الأمين، مثل حفظ الأموال ونحوها .."[٤]، والأمانة مرتبطة بالتقوى والصلاح الذي هو أهم شروط المنصب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠١)، ط: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (١٢٧/٢).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، من، كتاب: المناقب، باب: فضائل أبي عبيدة ابن الجراح، برقم ٢٤٢٠

(٤) السياسة الشرعية: شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٣٤)، نشر: وزارة الشؤون الاسلامية، السعودية، ط: أولى ١٤١٦هـ.

والأحاديث في ذلك متعددة رواى البخاري في صحيحه: « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة »، قال: كيف إضاعتها؟ قال: « إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[١].

وقد استشهد بالحديث شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٤٧/٢٨، حيث قال: فصل: فأما أداء الأمانات ففيه نوعان: أحدهما: الولايات ... فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، قال النبي -ﷺ-: « من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله » وفي رواية: « من ولَّى رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين »، وعلق الشيخ على الحديث بقوله: رواه الحاكم في صحيحه، وروى بعضهم أنه من قول عمر لابن عمر روى ذلك عنه. وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ... اهـ.

والمناصب العامة أمانات مسؤولة، وهي من بين أعلى مراتب الأمانة، والتفريط فيها بتسليمها لغير المؤهلين لها يُعَد خيانة عظيمة. ولذلك لما سأل أبوذر-رضي الله عنه- وهو من هو في الصلاح والزهد والعلم والخُلق - الرسول -عليه السلام- لماذا لا يستعمله (أي: يوليه وظيفة عامة)، قال له: « يا أباذر! إنك ضعيف،

(١) أخرجه البخارى، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة (١٠٤/٨) رقم ٦٤٩٦.

وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »[١].

إذًا هناك شرطان لتولية الوظيفة: الأهلية لها، والوفاء بمتطلباتها كما ينبغي.

قال الإمام النَّووي: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأمَّا الخزي والندامة فهو في حقِّ من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدِل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرَّط، وأمَّا من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة»[٢].

|||

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٤٥٧/٣)، برقم ١٨٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم (٢٢١/٤).

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في مكافحة الفساد

لقد تناول القرآن جانب الفساد، وتعددت الآيات التي تذكر لفظ الفساد، ويستنبط من مجملِها أن الفساد الإداري يطلقُ ويرادُ به وجودُ الخللِ في الأداء نتيجة الخطأ والنسيان واتباع الشهوات والزلل والانحراف عن الطريق المستقيم، ومن يطالع منهج القرآن الكريم في تحقيق منهج الإصلاح وما يترتب عليه من ثمار طيبة حالة تطبيقه في إطار من صفات النَّزاهة والأمانة، وما يترتب عليه من فوات العمران وخراب الدور والبلدان يدرك بيقين حكمة الله البالغة في فرض الإصلاح، وجعله قوام الحكم والإدارة والسمو بهما إلى درجة الرشادة.

وتتمةً للفائدة يمكن تقسيم هذا المبحث إلى مطالب أربعة:

المطلب الأول: عموم النهي عن كل فساد قوام المجتمعات الراشدة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: كفالة المستوى المعيشي اللائق للموظف العام وفق منهج القرآن الكريم.

المطلب الثالث: تأهيل الموظف وتدريبه فريضة شرعية وفق منهج القرآن الكريم.

المطلب الرابع: تحديد إجراءات العمل وقواعده وفق منهج القرآن الكريم.

|||

المطلب الأول

عموم النهي عن كل فساد قوام المجتمعات الراشدة في القرآن الكريم

وردت كلمة الفساد ومشتقاتها في القرآن الكريم ما يقارب ثلاثة وخمسين موضعًا[1]، منها أحدَ عشرَ موضعًا ذكرت فيها كلمة (فساد) حيث جاءت الكلمة المعرفة بالألف واللام، في ستة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. أي: هو أعوج المقال، سيئ الفعال، فذلك قوله، وهذا فعله: كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة.

فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث، وهو: محل نماء الزروع والثمار والنسل، وهو: نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما.

وقال مجاهد: إذا سعى في الأرض فسادا، منع الله القطر، فهلك الحرث والنسل.

" وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ " أي: لا يحب من هذه صفته، ولا من يصدر منه ذلك[2].

٢- قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦]. قال الطبري: ينهون أهل المعاصي

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، بيروت ١٤٠٧هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٣٨/١).

عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به، في أرضه[1].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]. أي: لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض، وتسيء إلى خلق الله[2].

٤- قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

ومعنى قوله تعالى: " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ " أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي.

وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: « لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا ». والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس - أو أكثرهم، أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببا في محاق البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى [ابن مريم] -عليه السلام-، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض:

---

(١) جامع البيان (٢٧/١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٤٧).

أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفئام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله -ﷺ-، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير؛ [ولهذا] ثبت في الصحيح « إن الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب » [(١)].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] فتأويل الكلام إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته. وذلك عنده هو الفساد [(٢)].

٦- قوله تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ [الفجر: ١٠-١٢]. أي: الجور والأذى[(٣)].

كما جاءت الكلمة مجردة من الألف واللام في خمسة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٠٢، ٥٠٣).

(٢) جامع البيان (٢٠/٣٠٩، ٣١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٩٩).

يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

٣- قوله تعالى: ﴿ ويَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

٤- قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وجاءت معاني الفساد في القرآن الكريم حول الإساءة والتدمير والتخريب والإتلاف في الأرض عامة، وأشارت الآيات إلى جملة من المفاسد بعينها، كالشرك، وإتلاف الزروع والثمار وإهلاك النسل، والتدابر، وقطع الأرحام، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر بوصله، والقيام بأعمال الحرابة من تخويف للآمنين ونهب للأموال وانتهاك للأعراض وسفك للدماء البريئة، وإلحاق الضرر بالبيئة البحرية والبرية بالإتلاف والتلويث، والحيف في الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، وغير ذلك من أنواع الفساد وأشكاله.

|||

المطلب الثاني

كفالة المستوى المعيشي اللائق للموظف وفق منهج القرآن

يعد الراتب أو الأجر من أهم الحقوق التي اعتنى الإسلام بها، انطلاقًا من مبدأ العدالة التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية، وقد ورد الأجر في القرآن الكريم في مئةٍ وخمسين موضعًا، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧]، وقوله تعالى ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤]، وكما جاء وروده بالمعنى المتداول في الحياة العملية، فقد ورد في أسمى المعاني، وأكثرها تجردًا من شؤون الحياة الدنيا، وعرضها الزائل، ومن الآيات التي جمعت بين المعنيين قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧]، فلا بد للموظف من أجر، وأن يكون الأجر مقابلاً وموازيًا لِما يقدمه من جهد، فلا كسب بدون جهد، ولا جهد بدون كسب، فكما يجب على الموظف أن يقوم بمهام وظيفته خير قيام، فإنه يجب على الحكومة أن لا تبخس الموظف الصادق الكفء حقّه؛ لأن هذا الأمر من مسببات الفساد، قال الله تعالى: ﴿ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود: ٨٥] والفساد لفظ عام يعم قليل الفساد وكثيره، وكذلك الإصلاح عام[1].

والبخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل، وهو أمر مستقبح في العقول، ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه، فلم يبق

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٤٢٦).

لكم فيه عذر[1].

والبخس عام في جميع أنواع الظلم، كالغصب والسرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق وانتزاع الأموال بوجوه الاحتيال، يروى أنهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه[2]، وكانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا: هي زيوف فقطعوها قطعًا ثم أخذوها بنقصان ظاهر، وأعطوه بدلها زيوفًا[3].

والآية عامة في جميع الحقوق. قال الطبري في معنى الآية: "يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه: " أَوْفُوا" الناس "الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ"، يقول: بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم، على ما وجب لهم من التمام، بغير بخس ولا نقص وقوله: "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ "يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلاً أو وزناً أو غير ذلك"[4].

قال الرازي في تفسير الآية: "ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في المكيال والميزان، دعاهم إلى ترك هذه العادة فقال: "وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ"، والنقص فيه على وجهين: أحدهما: أن يكون الإيفاء من قبلهم

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٢٨٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) مَكَسَ في البيع يمكِس: إذا جبى مالًا، والمكس النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية، القاموس المحيط مادة (م – ك – س).

(٣) المرجع السابق (٣/٢٨٤).

(٤) جامع البيان (١٥/٤٤٦)، وينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٤٤٧).

فينقصون من قدره، والآخر: أن يكون لهم الاستيفاء فيأخذون أزيد من الواجب، وذلك يوجب نقصان حق الغير، وفي القسمين حصل النقصان في حق الغير. ثم قال: "إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ"وفيه وجهان: الأول: أنه حذرهم من غلاء السعر، وزوال النعمة إن لم يتوبوا، فكأنه قال: اتركوا هذا التطفيف وإلا أزال الله عنكم ما حصل عندكم من الخير والراحة. والثاني: أن يكون التقدير أنه تعالى أتاكم بالخير الكثير والمال والرخص والسعة، فلا حاجة بكم إلى هذا التطفيف"[(١)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم، ومعنى "خَيْرٌ لَكُمْ" يعنى في الإنسانية وحسن الأحدوثة، وما تطلبونه من التكسب والتربح؛ لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية[(٢)].

وقد روى الإمام البيهقي عن جابر أن رسول الله –ﷺ– قال: «استعمل عتاب بن أسيد[(٣)] على مكة، وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة»[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير (١٨/٣٨٤).

(٢) الكشاف (٢/١٢٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٢٣).

(٣) عتاب بن أسيد هو: أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد، أسلم يوم الفتح، واستعمله الرسول على مكة بعد الفتح وسنه عشرون سنة، توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١٠٢٣).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب: قسم الفيء والغنيمة، باب: ما يكون للوالي الأعظم ووالي الإقليم من مال (٦/٣٥٥) رقم: (١٣٤٠٣).

المطلب الثالث

تأهيل الموظف وتدريبه وفق منهج القرآن الكريم

من الثابت أن طلبَ العلمِ يشمل مصطلحي التأهيلِ والتدريب، وذلك أن المسلمَ مطالبٌ شَرعًا بطلب العلم في كل حين، فهو مطالب به سواء قبل العمل، أو بعد العمل، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

والإسلام يعطي للتدريب اهتمامًا كبيرًا، وأداؤه على أكمل وجهٍ، وبخاصة في مجال الخدمات العامة؛ حيث يقول: « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »[١]، فإذا كان الله تعالى ورسوله قد أمرا بإتقان العمل وإحسانه، فإن الإتقان والإحسان لا يتمّان من دون تعليم وتدريب "وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٢] فالتدريب لإتقان العمل واجب على كل موظف[٣].

ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام بكل ما يمكن العامل من أداء عمله على الوجه الأكمل وبخاصة طلب العلم الذي يمكن العامل من القيام بعمله على بصيرة، فقد أمر الله تعالى بطلب العلم، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] بل جعل الإسلام إسناد العمل إلى غير أهله مؤذنًا بخراب الدنيا، وقيام الساعة حين قال رسول الله: « فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة »، قال:

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن عائشة (١/٢٧٥ ح ٨٩٧)، ط: دار الحرمين، القاهرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٨٣ ح ١٨٨٠).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي (٢/١٨٣)، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، دمشق، لبنان.

(٣) مقدمة في الإدارة الإسلامية: د/ أحمد داوود الزجاجي (ص: ٤٢٢)، ط: أولى ١٤٢١هـ.

كيف إضاعتها؟ قال: « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[1].

فمن لا تتوافر فيه شروط الأهلية للوظيفة العامة، سواء لقلة علمه بكيفية أدائها، أو لقلة علمه بما يجب عليه فيها، والفساد الذي يقع عندما يتولى السلطة من ليس من أهلها فساد كبير وعريض، بيَّنه الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية.

أما طاعة الموظف لمرؤوسيه فتكون طاعة تامَّة لرئيسِه المباشِر في أيِّ مجالٍ من مجالات العمل فيما يخدم العمل ويطوِّره، ويَزِيد الإنتاج ويحسنه، خلقٌ كريم ينبغي التحلِّي به؛ يقول الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] إلا أنَّه يُشترَط في هذه الطاعة أنْ تكون بالمعروف، وفق ما تقتضيه الأنظمة، بحيث لا يَتجاوَب العامل أو الموظَّف مع رئيسه إلا بما يُرضِي الله تعالى ولا يُسخِطه؛ لأنَّه كما قال الرسول -ﷺ-: « لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الله الخالق »[2].

|||

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: من سئل علماً وهو مشتغل في حديث، فأتم الحديث ثم أجاب السائل (٢١/١ ح ٥٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في "المسند"، الحديث (٣٣٣/٢ ح ١٠٩٥)، وقال محقِّقو "المسند": "إسناده صحيح على شرط مسلم".

المطلب الرابع

تحديد إجراءات العمل وقواعده وفق منهج القرآن الكريم

إن تحديد إجراءات العمل وقواعده مبدأٌ إسلامي أصيل، يدل عليه بعثة الله تعالى للرسل، وإنزاله للكتب ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال لنبيه محمد -ﷺ-: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

قال الطبري: "فغير جائز أن يكونَ به مهتديًا، منْ كانَ بما يُهْدَى إليه جاهلاً فقوله تعالى: "لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" أي: ليفهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه؛ ليثبت حجته عليهم"(١) حيث إن الحجة لا تقوم إلا بعد البيان.

وبالمقارنة بين مصطلحي التدريب والتأهيل، وبين ما هو مقرر في الشريعة الإسلامية، نجد أن هذين المصطلحين يقابلهما طلب العلم والتحصيل، ولا يخفى أثر العلم في مكافحة الفساد الإداري، ويظهر ذلك من عدة وجوه:

١- أنه يمكن الموظف من معرفة ما يجب عليه في عمله، فيهيئه للقيام به.

٢- أن يمكن الموظف من معرفة كيفية القيام بما يجب عليه من العمل على الوجه الأكمل.

٣- أنه يمكن الموظف من معرفة ما يحرم عليه من الممارسات، بما فيه ما يعد من قبيل الفساد الإداري، كالرشوة والاختلاس واستغلال نفوذ الجاه.

٤- أن العلم يهذب السلوك والأخلاق، ويسمو بالنفس الإنسانية من حمأة الفساد وممارسته.

٥- تطوير أدوات الموظف بما يواءم وتطور متطلبات الوظيفة(١).

---

(١) جامع البيان (١/١١).

ويظهر أثر تحديد إجراءات العمل وقواعده في مكافحة الفساد الإداري في ضوء المنهج القرآني كما يلي:

١- أنه يبين للموظف ما يجب عليه فعله وكيف يفعله، وهذا يضمن أداء الواجب على الوجه المطلوب، فتتحقق المصلحة وينتفي الفساد.

٢- إقامة الحجة على المكلف (الموظف) فلا يبقى له عذر في القصور، أو المخالفة، قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّـهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥] واستشعار الموظف قيام الحجة عليه يدفعه إلى أداء الواجب، والبعد عن الفساد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد دلت سنة النبي -ﷺ- على أن الولايات أمانة يجب أداؤها في مواضع مثل قوله لأبي ذر الغفاري: « يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »[٢].

والأمانة يجب حفظها وأداؤها، وإلا كان المفرط آثمًا، وكل صاحب أمانة معرض للخزي والندامة يوم القيامة، إلا من أخذها بحقها، وهو القيام بواجبها، وأداء الذي عليه فيها، ولا يكون الأداء إلا في الوقت المحدد، وهو وقت الدوام الرسمي، فيجب عليه في وقت الدوام الرسمي أن يؤدي فيه حقوق الوظيفة وواجباتها، وإلا كان آثمًا نادمًا في الآخرة.

(١) ينظر: الاتجاهات الحديثة في التطوير الإداري: د/ صبحي منصور (ص: ١٤٣) وما بعدها.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، من، كتاب: الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها. (٦/٦ ح ٤٨٢٣).

أما عن تقويم الأداء فإن أساس المسؤولية في القرآن الكريم أنها شخصية، وأنها ستكون أمام الله تعالى يوم القيامة، وكذلك أمام الخلق في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال الطبري: "قوله تعالى ذكره لنبيه محمد -ﷺ-: "وَقُلِ" يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك "اعْمَلُوا" لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه "فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ" يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا "وَسَتُرَدُّون" يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها "فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصًا، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"[١].

|||

(١) جامع البيان (١٤/٤٦٣).

المبحث الثالث

أشكال الفساد كما صورها القرآن

للفساد أشكالٌ عدة، وفي كلّ شكلٍ من هذه الأشكال العديد من الأمثلة التي تحمل كل سلبيات الفساد، وتُؤدي إلى آثار لا تُحمد عاقبتها، ومن الضروري معرفة أشكال الفساد جميعها لكشف من يقوم بها ومحاسبته، وهي ممثلة فى مطلبين كما يأتي:

المطلب الأول

الفساد في الدوائر والهيئات الحكومية

ظاهرة الفساد ظاهرة مركبة تختلط فيها الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ولذا تتعدد أسباب نشوئها، ومن هذه الأسباب عدم اتساق الأنظمة ومتطلبات الحياة الاجتماعية، وضعف الرقابة، وللفساد آثارٌ سلبيةٌ متعددة، أهمها التأثير السلبي على عملية التنمية، فينحرف بأهدافها، ويبدد الموارد والإمكانات، ويسيء توجيهها، ويعوق مسيرتَها، كما يضعف فاعلية وكفاية الأجهزة، ويتسبب في خَلق حالة من التذمر والقلق.

وقد قسَّم رجال الفكر الإداري الفساد إلى أربع مجموعات[(١)] وهي:

---

(١) في مجمل هذه المجموعات ينظر:

- الأمانة في الأداء الإداري: د/ مهدي بن إبراهيم بن محمد (ص: ٢٧) مكتبة الخدمات الحديثة – جدة.
- إستراتيجية الإصلاح الإداري وإعادة التنظيم في نطاق الفكر النظريات: د/ صافي إمام موسى (ص: ١٧) دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض.
- الفساد السياسي النظرية والتطبيق: د/ إكرام بدر الدين (ص: ٤٣)، ط: دار الثقافة العربية – القاهرة.

١- الانحرافات التنظيمية:

ويقصد بها تلك المخالفات التي تصدر عن الموظف في أثناء تأديته لمهمات وظيفته والتي تتعلق بصفة أساسية بالعمل، ومن أهمها:

- **عدم احترام العمل، ومن صور ذلك: (التأخر في الحضور صباحًا – الخروج في وقت مبكر عن وقت الدوام الرسمي ...).**
- **امتناع الموظف عن أداء العمل المطلوب منه.**
- **التراخي، ومن صور ذلك: (الكسل ...).**
- **عدم الالتزام بأوامر وتعليمات الرؤساء، ومن صور ذلك: (العدوانية نحو الرئيس – عدم طاعة أوامر الرئيس – البحث عن المنافذ والأعذار لعدم تنفيذ أوامر الرئيس ...).**
- **السلبية، ومن صور ذلك: (اللامبالاة – عدم إبداء الرأي – عدم الميل إلى التجديد والتطوير والابتكار – العزوف عن المشاركة في اتخاذ القرارات – الانعزالية ...).**
- **إفشاء أسرار العمل.**

وكل هذه داخلة تحت عدم إتقان العمل الذي حث عليه الرسول الكريم – ﷺ– بقوله: « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه »[١].

٢- الانحرافات السلوكية:

ويقصد بها تلك المخالفات الإدارية التي يرتكبها الموظف وتتعلق بمسلكه الشخصي وتصرفه، ومن أهمها:

---

(١) الحديث أخرجه البهقى فى شعب الايمان (٧/٢٣٢)، باب: الأمانات وما يجب من أدائها إلى برقم ٤٩٢٩.

- **عدم المحافظة على كرامة الوظيفة.**
- **سوء استعمال السلطة.**
- **المحسوبية والوساطة، مما يؤدي إلى شغل الوظائف العامة بأشخاص غير مؤهلين مما يؤثر على انخفاض كفاءة الإدارة في تقديم الخدمات وزيادة الإنتاج.**

٣- الانحرافات المالية:

ويقصد بها المخالفات المالية والإدارية التي تتصل بسير العمل المنوط بالموظف، وتتمثل هذه المخالفات فيما يلي:

- **مخالفة القواعد والأحكام المالية المنصوص عليها داخل المنظمة.**
- **فرض المغارم، وتعني قيام الموظف بتسخير سلطة وظيفته للانتفاع من الأعمال الموكلة إليه.**
- **الإسراف في استخدام المال العام.**

٤- الانحرافات الجنائية:

ومن أشكالها ما يلي:

- الرشوة: **وأظهر الأحاديث نصًا في موضوع الرشوة حديث عبدالله ابن عمر عند الخمسة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: « لعنة الله على الراشي والمرتشي»، وحديث ثوبان عند أحمد بمعناه، وزيادة: « والرائش »، وهو الساعي بينهما يستزيد هذا ويستنقص هذا [1].**

ومن أبرز ما جاء في أمر العمال والرشوة قصة عبد الله بن رواحة لما

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه، باب: التغليظ فى الحيف والرشوة (٢/٧٧٥)، برقم ٢٣١٣ وصححه الألبانى .

بعثه رسول الله -ﷺ- إلى اليهود في خيبر ليخرص عليهم، رواه مالك قال: كان رسول الله -ﷺ- يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر، فجمعوا له حليًّا من حلي نسائهم، فقالوا: خذ هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم! أما ما عرضتم من الرشوة فإنها سُحتٌ وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض[1].

- اختلاس المال العام: لا يشكُّ عاقلٌ في أنَّ المسلمين لهم حقٌّ في المال العام، وأنهم يعتبرونه مِلْكًا لهم، وأنَّ مَن اؤْتُمِنَ على هذا المال، فأخَذَ منه شيئًا، فلا شكَّ أنَّه مُعَرِّضٌ نفسَه لسَخَطِ الله. ن خَوْلَةَ الأنصاريَّة أنَّها سَمِعتْ رسول الله -ﷺ- يقول: « إنَّ رجالاً يتخوَّضون في مالِ الله بغير حقٍّ، فلهم النارُ يومَ القيامة »[2].

قال ابن حجر في الفتْح[3]: أي يَتَصرَّفون في مال المسلمين بالباطل، وهو أعمُّ من أنْ يكون بالقِسمة وبغيرها. في الصحيحين عن عمر - ﷺ -: "لَمَّا كان يوم "خَيْبر" أقْبَلَ نفرٌ من صحابة النبي -ﷺ- فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مرُّوا على رجلٍ، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله -ﷺ-: « كلاَّ؛ إني رأيْتُه في النار في بُرْدَة غَلَّها أو عَبَاءَة »، ثم قال رسول

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في المساقاة (٢/٧٠٣، ٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب: قول الله تعالى: "فأن لله خمسه" (٨٥/٤) برقم ٣١١٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢١٩/٦).

الله -ﷺ-: « يا ابن الخطاب، اذْهَبْ فنادِ في الناس، أنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون »، قال: فخرجتُ، فناديتُ: ألاَ إنَّه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون"[١].

- التزوير: فإن الأصل هو تحريم التزوير لأنه داخل في شهادة الزور وقول الزور، وقد حذر النبي -ﷺ- من ذلك قائلاً: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور » وكان رسول الله متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [٢].

أما من المنظور الشرعي: فإنه يستنبط من مظاهر الفساد الاقتصادي وصوره المعاصرة أنه ينجم بصفة أساسية بسبب عدم تطبيق ما أمر الله به، وعدم الانتهاء عن ما نهى الله عنه، ولذلك أسباب من أهمها:

أولاً: اتباع الهوى:

ميل النفس إلى الشهوة، وقيل: سمي الهوى بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سفل[٣].

وقال الشعبي[٤]: "إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار"[٥].

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيح، كتاب: الإيمان، باب: غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ(١/١٠٧) برقم ١١٤

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب: الايمان، باب: بيان الكبائر واكبرها (١/٩١) برقم ٨٧.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٤٩).

(٤) عامر الشعبي، وهو ابن شراحيل، أبو عمرو، كوفى، تابعي ثقة، رأى عليًا -رضي الله عنه- وروى عنه. توفي (١٠٣هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٣/٢٥١).

(٥) سنن الدارمي، باب: اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصوم برقم ٣٩٨، وهو حديث مقطوع. ينظر: الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم (٦/٣٢٢)، ط: دار إحياء التراث = =

قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

أي: "لو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم، وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن"(١).

وقيل: "المراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من شَرعِ الهوى، وشَرع الأمور على وفق ذلك، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، أي لفساد أهوائهم واختلافهم"(٢).

ومن الملاحظ أن الهوى ما جاء في القرآن الكريم إلا مذموماً، وما نُسب إلا لأهل الفساد والضلال.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

ومن لطائف الكلام: أن لفظة الهوى عند تعلقها بالأمة، ما جاءت في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع (أهواءهم)، ولم تأت بلفظ (هواهم) قط، وفي ذلك إشارة بتعدد الهوى، وأن لكل شخص من القوم هوى خاصاً به، وهذه دلالة واضحة على استحالة جمع الأمة على رأي تبعاً للهوى، مما يفضي إلى

العربى، ط: أولى ١٢٧١هـ.

(١) أدب الدنيا والدين (ص١٤)، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨/٣٣).

الفساد.

<u>ثانياً: ظهور المترفين:</u>

والمترف لغةً: الذي أَبطَرَتْه النعمةُ وسعة العيشِ فطْغى[1].

"والترفه: التوسع في النعمة"[2].

وما ذكر الترف في كتاب الله تعالى إلا في معرض الحديث عن الظلم والفسق والفساد في الأرض، أو عند الحديث عن الذين توعدهم الله بالعذاب في الدنيا وفي الآخرة، ويمكن بيان ذلك من خلال الآيات الكريمة التي تناولت الحديث عن المترفين ووصفت أحوالَهم:

١- المترفون ظالِمون قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦]. فالظلمُ آفةٌ كبيرة يغرس العداوة والأحقاد والتحاسد والتباغض بين أفراد المجتمع، فتفسد العلاقات بين الناس، ولا تستقيم الحياة، ولا يطيب العيش، ويترتب على ذلك ذهاب الدين والفضيلة، وتحل الرذيلة والفرقة والضياع.

٢- تصدر المترفين ينذر بالدمار قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦]. فقد أمر الله المترفين على لسان الرسل بالطاعة والعمل الصالح، وخصهم بالأمر؛ لأن غيرهم تبع لهم، فإن فسقوا وتمردوا، وبالغوا في

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٧/٩).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ١٦٦).

الفحش، وجب عليهم العذاب، فدمروا تدميراً، وأهلكوا هلاك استئصال[1].

٣- المترفون أعداء الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].

والمتدبر في هذه الآيات الكريمة يلمس بوضوح أن أهل الترف هم الذين يتصدرون العداء لرسل الله تعالى، فلا يرون الحق إلا ما تسوغه نفوسهم، ويرفضون أن يستوي بهم غيرهم من الناس، فيتذرعون بحجج واهية يبررون لأنفسهم من خلالِها العدول عن دين الله، والصد عن سبيله.

ومما سبق يتبين لنا: أن المترفين من وراء كل رذيلة في المجتمعات البشرية، وعليه فإن ظهورهم في المجتمع وتصدرهم فيه سبب هام من أسباب فساد المجتمعات.

وإذا كان الفساد وصوره المعاصرة ينجم عن عدم الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية بصفة عامة فإنه في مجال المعاملات الاقتصادية يكون بصفة أخص، وذلك راجع إلى مجموعة من الأسباب نوجزها في الآتي:

١- ضعف الإيمان: ومن أهمها عدم الخشية والخوف من الله، وانعدام المراقبة والمحاسبة الذاتية، ونسيان المحاسبة الأخروية أمام الله تعالى.

(١) زاد المسير (٢/٦٣٠)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٢/٧٠٨).

٢- انتشار الأخلاق الفاسدة، **مثل الكذب، والنفاق، والرياء، والغلظة، وسوء الظن وعدم الوفاء بالعهود والعقود، وخيانة الأمانة، والرشوة، والمحسوبية، والاحتيال.**

٣- ضعف السلوكيات الطيبة، **وانتشار المادية بين الناس، وتفكك عرى التكافل والتضامن الاجتماعي، وانتشار الأنانية والحقد والكراهية.**

٤- الحكم بغير ما أنزل الله، **والتسلط على الناس، وكبت الحريات ... تطبيق نظم وقوانين وضعية تخالف شرع الله تعالى.**

|||

المطلب الثاني

الفساد في جانب الأخلاق والمعاملات

جاءت الشريعة الإسلامية الغراء لتنظم للناس علاقاتهم ومعاملاتهم بما يحفظ لهم حياة كريمة خالية من البغي والظلم والعدوان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّـهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

لذا فإن كل معاملة بين الناس – مادية أو إنسانية – تناقض هذه النُّظُم التي وضعتها الشريعة الإسلامية وحضت عليها هي معاملة فاسدة، وقد دعت الشريعة أتباعها لاجتنابها والبعد عنها، ووصفت من يتلبسون بها بالمفسدين.

وهناك الكثير من المعاملات الفاسدة التي تناولتها الآيات الكريمة، ودعت المؤمنين إلى هجرها والبعد عنها، ويمكن بيان طائفة منها على النحو الآتي:

١- نقض عهد الله من بعد ميثاقه: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧].

إن نقض العهود بعد توثيقها يفقد الثقة بين الناس، فتتمزق ألفتُهم، وتضطرب علاقاتُهم، ويفسد هدف الحياة السامي القائم على الألفة والأنس والتعاون والمحبة من نقض العهود، وجعلها من صفات المنافقين؛ حيث حذر النبي –ﷺ– فقال: «أربع بين الناس، من كن فيه كان مُنَافِقاً خَالصاً، ومن

كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[١].

ونرى أن احترام العهود والمواثيق بين الناس هي أساسٌ للعلاقات الطيبة السليمة التي تبنى عليها حياة المجتمعات البشرية، والعهود ركيزة أساسية في أمن المجتمعات واستقرارها، فإن فسدت العهود وقع الفساد الشامل، ولم تَعد هنالك فضيلة ولا ركيزة يحتكم إليها الناس، فتفسد كل الأواصر والروابط، ويعيش الناس حالة من الفوضى والفساد العارم، قال: « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ » قالوا: بلى، قال: « صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة »[٢].

٢- قطع ما أمر الله به أن يوصل: ﴿ والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم، وترك موالاة المؤمنين، ورفض الخير، مما يؤدي لقطع صلة العبد بربه[٣].

٣- قال تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحى، باب: علامة المنافق (١٦/١) برقم ٣٣.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى في سننه (٦٦٣/٤) برقم ٢٥٠٩، وقال عنه: حديث صحيح، ط: دار احياء الثراث العربى – بيروت.

(٣) أنوار التنْزيل وأسرار التأويل (٤٢/١).

قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٢ – ٦٤].

وقد تناولت الآيات الكريمة جملة من السلوكيات التي يمقتها الله تعالى، وتوعد فاعليها بالعذاب يوم القيامة في أكثر من موضع في كتابه العزيز، ثم ختم الآيات بوصف فاعليها بالمفسدين، ويمكن حصر هذه السلوكيات في النقاط التالية:

أ- العدوان: وهو التطاول على الناس وظلمهم، وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فهل هناك أفسد من عمل يفقد صاحبه محبة الله –عز وجل– ؟

ب- أكل السحت: وهو أكل أموال الناس بغير حق قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] كالرشوة والربا والاحتيال على الناس في أخذ أموالهم بالخديعة وغيرها، وقد نهى الله عن ذلك فحرم الربا، وأعلن الحرب على آخذيها حيث قال: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

ج- عدم التناهي عن المنكرات: فلا يعظ أهلُ العلمِ السفهاء والوالغين في المعاصي، بل يسكتون عنهم، ويأخذون الرشوة للسكوت على باطلهم، ويكتمون الحق وهم يعلمون[1] والله تعالة لعن من رأى المنكر ولم ينه عنه فقال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩].

د- العداوة والتباغض: الأصل في العلاقة بين الناس أن تسود روح المحبة والرحمة بينهم، ولكن من وصفهم الله بالمفسدين في الأرض قد استُبدلَت كل صفات الخير في نفوسهم إلى نقيضها، فأقاموا علاقاتِهم على أساسٍ من الفُرقةِ والكراهيةِ والتنافر، قال تعالى: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤].

هـ- إشعال الحروب: ثم هم بعد ذلك كله يشعلون الحروب لتعميق القطيعة بين الأمم والشعوب، ويفسدون الحياة على الناس عامة.

فأي فساد في المعاملات والسلوك أعظم من أن يتلبس المرء أو القوم بواحدة من هذه الأعمال؟ فكيف إذا تلبس بها جميعاً ؟!

٤- قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٢٧/١).

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥ – ٨٦].

في هذه الآية الكريمة يحث سيدنا شعيب قومه على ترك جملة من السلوكيات والمعاملات الفاسدة التي أقام عليها القوم حتى أصبحت علَماً عليهم، كنقص الميزان عند البيع واستيفائه عند الشراء، وبخس الناس ما يملكون بالتزهيد فيها والمخادعة عند شرائها، وتخويف الناس بسلب أمتعتهم وأخذها منهم على الطرقات عنوة، والصد عن سبيل الله[١].

|||

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٢٢).

المبحث الرابع

آثار الفساد كما صورها القرآن الكريم

إن للفساد آثارَه على المفسدين أنفسِهم، وله كذلك آثارُه المدمرة للمجتمع، تمزق وحدته، وتذهب قوته، وتؤول به إلى مستقبل مظلم، فلا يرتجى منه خير ولا يتوقع منه صلاح إلا باجتثاث أصول الفساد من هذا المجتمع، وسد سبله، ويمكن حصر هذه المظاهر والآثار للفساد كما صورها القرآن الكريم في:

١- سفك الدماء.

٢- قطع الأرحام.

٣- انتشار الرذيلة.

٤- فقد الأمن.

٥- القحط والجفاف.

٦- الكوارث والدمار.

٧- اختلال نظام الكون.

أولاً: سفك الدماء:

إن الإنسان بنيان الله في الأرض، وقد كرم الله تعالى بنيانه فقال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن تمام تكريم الله للإنسان أن توعد من هدمه بغير حق، فقال: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وذلك في عدم التوبة والأوبة، فإن

تاب توبة نصوحًا تاب الله عليه قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان ٧٠].

إنه وعيدٌ شديدٌ، ما توعد الله بمثله على معصية قط، فالخلد في النار، وغضب الله، والطرد من رحمته، والعذاب العظيم لمن هدم هذا البنيان، ولا يشيع القتل وسفك الدماء في مجتمع من المجتمعات، إلا إذا بلغ هذا المجتمع حداً من الفساد والجرأة على حدود الله تؤهله لفعل ذلك، بمعنى أن سفك الدماء نتيجة متوقعة للفساد، فساد الفطرة، وفساد في معنى الحياة وغايتها، وفساد في التصور، وفساد في الخُلق، وفساد في السلوك، وفساد في الروابط والمعاملات، وفساد في كل ما بين الناس من ارتباطات، فالمجتمع الذي يشيع فيه الفساد لا تُراعي فيه حرمة لمال ولا عرض ولا دم، فإذا تدنت الأمة إلى هذه الدرجة السحيقة من الفساد هان على أفرادها الاعتداء على كل شيء.

وقد قرنت الملائكة الكرام بين الفساد وسفك الدماء، قال تعالى على لسانهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] ولعل هذا من قبيل عطف الخاص على العام، وذلك لبيان أشنع ما سيكون عليه هذا الفساد، فقد خَصت الملائكةُ سفك الدماء –وهو من خصوص الفساد–؛ وذلك لبيان شناعته، وأن سفك الدماء أعلى درجاته، وما كان لإنسان أن يقترفه إلا إذا بلغ حداً من المغالاة في الفساد.

وقد اعتبر الزمخشري "الفساد في الأرض تهييج الحروب والفتن"[1] ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

فالفتن والحروب سميت فساداً لكثرة ما يسفك فيها من دماء، والحروب نتيجة مترتبة عن فساد العلاقة بين أفراد المجتمع أو الجماعات البشرية، لذا أرى أن سفك الدماء نتيجة طبيعية لحالة الفساد التي يصل إليها الناس أفراداً وجماعات.

ثانياً: قطع الأرحام:

ومن الآثار التي تنشأ عن الفساد في الأمم والمجتمعات، قَطعُ العلاقات والصلات بين أفرادها، فالأصلُ في الإنسان أنه مخلوقٌ اجتماعي بطبعهِ وفطرتهِ التي فطرهُ الله عليها.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

والسكن هو الطمأنينة والإيناس والراحة النفسية، وقد أمر الشارع الحكيم بصلةِ ذوي القربى، فقال: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ

(١) الكشاف (١٧٩/١).

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

كما أوصى بصلة الرحم فقال: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

ولكن عندما تنحرف الأمة عن منهج ربِّها ويفسد حالُها، تتحلل من روابط الخير وعرى الإيمان، وتتخلى عن صلة الأرحام، هذه الرابطة العظيمة التي رفع الله شأنَها، وتكفل بوصلِ من وصلها وقطع من قطعها، كما جاء في الحديث: « إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ »[1].

وقد قرن الله تبارك وتعالى بين الفساد وقطع الأرحام في قوله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] أي أن تعودوا إلى سالف عهدكم من الكفر والفساد في الأرض وقطيعة الرحم[2] فإن هذا يشعر وكأن هناك تلازماً بين الفساد وقطع الأرحام، فبعضها يفضي إلى بعض، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ

---

(١) الحديث أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: من وصل وصله الله (٦/٨) برقم (٥٩٨٨).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/١٠٠٣).

اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥]، ففي كلا الموضعين يبين السياق القرآني أن من جملة ما أمر الله به أن يوصل هم الأرحام، وقطعها مقترن بالفساد، كما يصف السياق القرآني في هذه الآيات الثلاث.

ومن هنا أرى أن قطع العلاقات الطيبة بين أبناء المجتمع، وفي مقدمتها قطع الأرحام، لهو دليل على حالة الفساد التي وصل إليها الناس في هذا المجتمع.

ثالثاً: انتشار الرذيلة:

الرذيلة: ضد الفضيلة، وهي الرديء من كل شيء في الماديات والمعنويات، والسلوك والأخلاق(١).

ويقصدُ بانتشار الرذيلة، ترك الأمة للفضائل وتلبسها بكل ما هو رديء وباطل يوقعها في سخط الله، سواء أكانت هذه الرذيلة فعلاً أم قولاً أم خلقاً.

والأصلُ في الأمة الإسلامية أنها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقد جعل الله هذه الخيرية مقترنةً بصلاحها القائم على الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الركائز الثلاث هي سر خيرية الأمة، فمتى تخلت الأمة عن هذه الركائز فسد حالُها، وحلت الرذيلة مكان الفضيلة.

ونضرب مثلين من صور الرذيلة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض الحديث عن المفسدين وهي كما يلي: -

---

(١) لسان العرب (١١/٢٨٠).

١- السرقةعلى لسان إخوة يوسف -عليه السلام- ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ [يوسف: ٧٣] يقسمون على براءتهم، ونزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم عن التلوث بقذر الفساد في الأرض، الذي هو رذيلة ونقيصة، تعتبر السرقة من أعظم أنواعها وهي لا تليق بهم(١).

٢- بخس الميزان. قال تعالى على لسان شعيب وهو يسدي النصيحة لقومه: ﴿ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [هود: ٨٥].

فالتلاعب في الموازين بالتطفيف وبخس الناس حقوقهم كل ذلك من أشكال السرقة والخيانة، وهي رذيلة لا تتفشى وتنتشر إلا في مجتمع فسدت قيمه الأخلاقية(٢).

رابعاً: فقد الأمن:

وقد بين الله تعالى أن الأمة التي تنعم بالأمن هي تلك الأمة التي عاشت الإيمان واقعاً في حياتها، خالياً من الإشراك بالله، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] فإذا ما تفشت المظاهر التي ذكرتها سابقاً، فسفكت الدماء وقُطِّعت الأرحام، وانتشرت الرذيلة، وقُطعتْ الطريق، واستبيحت الأموال، ونُقضت العهود والمواثيق، ذهب الأمن وحل الخوف والرعب، وأصبح الناس غير آمنين في

(١) فتح القدير (٣/٤٣).

(٢) (المفسدون في الأرض، جمال بواطنة). ينظر: مجلة الإسراء عدد (٥٢) إبريل ٢٠٠٤ (ص: ١٧).

إقامتهم وأسفارهم، فإن أصبح هذا واقع الأمة، فماذا بقي لها من معاني الحياة الكريمة الآمنة ؟

وقد تناول السياق القرآني بعضاً من هذه المعاني التي تدلل على أن للمفسدين دوراً في ضياع الأمن وترويع الناس، وذلك من خلال بعض الممارسات نذكر منها ما يلي:

١- إشعال الحروب: إن أشد لحظات فقدان الأمن وظهور الخوف في المجتمعات هو زمن الحروب، والمفسدون من وراء هذه الحروب والويلات التي تشتعل بين الأمم والشعوب، قال تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿ كلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢- ترويع ابن السبيل: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦] جاء في التفاسير أن إحدى إفسادات مدين تمثلت بقطع الطريق، وترويع الناس في أسفارهم؛ إذ كانوا يأخذون من أموال الناس العشر عنوة ويتوعدونهم بالقتل، كما كانوا يتوعدون ويخوفون من جاء من الناس قاصداً الإيمان مع شعيب.

مما سبق يتبين لنا أن للمفسدين دوراً كبيراً في سلب البلاد نعمة الأمن، وإشاعة الخوف بين الناس في حلهم وترحالهم.

خامساً: القحط و الجفاف:

إن لمعاصي الإنسان وفساده آثاراً على الكون من حوله، فإذا ما أحسن الإنسان وأصلح في الأرض، فإن السماء تُنْزِلُ من بركاتِها، والأرض تُخْرِج

من خيراتِها، ويعيش الناس في رغد من العيش وسعة قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون ﴾ [الأعراف: ٩٦] وعندما يعمل الناس بمعصية الله تعالى ويفسدون في الأرض، فإن السماء تمسك خيراتِها، والأرض تحبس بركاتِها، فتفسد البلاد، ويسوء حال الإنسان والنبات والدواب.

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١] وقد بين المفسرون أن المقصود بالفساد في الآية: الجدب الذي يسود في البر: وهي المدن والمزارع البعيدة عن شواطئ البحار، والبحر: وهي المدن التي على سواحل البحار وضفاف الأنهار، وذلك بسبب معصية الناس لربهم، فمعصية الله يترتب عليها حبس المطر وانقطاع الرحمة(١)، وانحباس الماء آفة لو استمرت لهلك الزرع وجف الضرع وانتهت الحياة؛ لأن الماء عنصر الحياة.

سادساً: الكوارث و الدمار:

الكوارث جمع كارثة، وهي: الشدائد الشاقة التي تَعُم، والدمار: الهلاك والدخول بغير إذن لفعل ما يكْره(٢).

ويقصد بالكوارث والدمار: ما يحدث على الأرض من زلازل وغيرها فتدمر القرى، وتلحق بالناس القتل والتشريد(٣)، وهي من قدر الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/٣٣٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٨).

(٢) لسان العرب (٢/١٨٠).

(٣) لسان العرب (٤/٢٩١).

والأصل أن الأرض مذللة ممهدة مستقرة يسهل العيش عليها بأمن وسلام، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ولكن عند فساد الناس والمبالغة في العصيان، تخرج الأرض عن هذه الخاصية فتحدث الكوارث والويلات.

والمتدبر في كتابِ اللهِ تعالى يقف على كثير من الآيات الكريمة التي يبين الله تعالى فيها مهالك الأمم السابقة التي أفسدت في الأرض فأضحت معالم قراهم آية على مدار الزمان؛ ليتعظ الناس، ويعلموا أن عاقبة الفساد كوارث ودمار، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨] وهذه صور من الكوارث والدمار الذي عوقبت به أمم أفسدت في الأرض وهي كما يلي:

١- الخسف في الأرض: قارون لما نصحه موسى فقال له: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧] فلما أبى إلا الفساد أُخذ بعقوبة الخسف، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١] فهذه الأرض المذللة الممهدة المفروشة ذات الجبال الرواسي تَخْسفُ بالمفسدين عقوبة من الله.

٢- الطوفان: فعلى الرغم من الماء عنصر الحياة، وهو غيث السماء، ورحمة الله لأهل الأرض. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ

مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨]، ولكن هذا الماء يتحول إلى نقمة من الله على القوم المفسدين، كما فعل الله بفرعون وملئه.

٣- عذاب الظلة: والسحابةُ في يوم الحر تأتي رحمة للناس يستظلون بظلها، فترطب أبدانهم، وتروح عن نفوسهم، ولكنها على المفسدين نيران تحيلهم جثثاً لا حراك لهم، ومدين: القوم الذين أفسدوا في الأرض، وقطعوا الطريق، وصدوا عن سبيله، أرسل الله إليهم سحابة في يوم حر شديد، فلما هرع القوم ليستظلوا بظلها، قلبها الله عليهم نيراناً[1] فأهلكتهم وجعلتهم أجساداً هامدة، قال تعالى: ﴿ فكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩] ولعل هذه الأحداث الكونية كالزلازل التي تدك الأرض والطوفان البحري "تسونامي" الذي يدمر مدناً بأكملها، فتزهق من جرائه مئات الآلاف من البشر لهو دليل على سنة الله[2] التي لا تتغير في الظالمين، فهل يتعظ الناس فيصلحوا علاقتهم بربهم -ﷻ-؟!

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٧٩٦).

(٢) تسونامي: كلمة يابانية تعني أمواج الموانئ العاتية، وقد ضرب بلاد جنوب شرق آسيا بتاريخ ٢٠٠٤م واحداً منها، فدمر مدناً بأكملها، وقتل ما يزيد على مائتين ألف نسمة. ينظر: مجلة المهندس (٢٦/١٢) الفلسطيني العدد (٥٠) حزيران ٢٠٠٥م.

سابعاً: اختلال نظام الكون:

إن الله تعالى قد خلق الكون، وجعل له نظاماً وقانوناً يضبط عناصره وأجزاءه، والكون كل الكون يخضع لله تعالى، ولا يحيد عن أمره ويسجد له ويعظم أمره، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨].

فكل ما في الوجود يسجدُ ويعظمُ أمرَ الله، ولا يخالف أمره أو يخرج عن هذا النظام إلا المفسدون من عصاة الإنس والجن، والمفسدون عندما يخرجون عن أمر الله ويعصون رسله إنما يفعلون ذلك اتباعاً للهوى، وقد ذم الله من اتبع هواه، وجعل اتباع الهوى سبباً لفسادِ السماوات والأرض واختلال النظام الكوني، قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وخلاصة القول:

إن ما يحل بالناس من كوارث ودمار في كافة نواحي الحياة هو نتيجة لفساد الناس وعصيانهم لأمر ربهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] فقد فسدت أسباب دنياهم ومحقت، ليذيقهم الله بعض الذي عملوا في الحياة قبل الممات[1].

---

(١) الكشاف (٣/٢٢٤).

المبحث الخامس

عقوبة المفسدين في الدنيا والآخرة

ويتضمن:

أولاً: إقامة الحدود.

ثانياً: الاستئصال والتدمير.

ثالثاً: عذاب الخزي.

رابعاً: سوء الخاتمة.

أولاً: إقامة الحدود:

إن إقامة الحدود في الشريعة الإسلامية -رغم ما فيها من ألم وشدة على المفسدين- إلا أنها جزء من عطف الله تعالى ورحمته بالعصاة، فهذه العقوبة غالباً ما تكون فرصة عظيمة للتوبة، ونقطة تحول في حياة العصاة[1].

وقد أنكر الله على الذين يبتلون في الدنيا بالشدة أو الفتنة ولم يتعظوا بذلك، فقال سبحانه: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

وقد بينت الآيات الكريمة من كتاب الله أن الهدف من القصاص والحدود هي العبرة والردع والتأديب، وبيان ذلك كما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان (ص٢٧٢)، دار الرسالة، ط: أولى ١٤٢١هـ.

ففي هذه الآية الكريمة يكشف الله تعالى لعباده ارتباط أحوال الناس وأعمالهم بأحوال الكون من حولِهم، ففساد القلوب والأعمال يتبعه فساد في أحوال الأرض، فتحبس السماء ماءها، وتمنع الأرض خيراتِها، وكل هذا من صنع الله تعالى وعقابه للناس، فالقحط والجدب في الأرض لا يتم عبثاً ولا يقع مصادفة، وإنما هو جزء من عذاب الله يقتص به من المفسدين ليتألموا بما يصيبهم من ضنك العيش، فيعزموا على مقاومة نفوسهم الشريرة، فيكفوا عن الفساد، ويرجعوا إلى الله تعالى.

٢- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩] فالسارق الذي أفسد في الأرض فَحُد وقطعت يده يكون هذا القطع رادعاً ومطهراً له من الوقوع في الجريمة مرة أخرى، وقد يحدث له القطع توبة ينعم بعدها بالإيمان والعمل الصالح، فيتوب الله عليه، ويعيش بعدها حالة من لذة الوصال والرضا بحكم الله، يشعر معها بلطف الله عليه وتفضله بقبول توبته، والتوفيق إليها، وما كان له أن يصل إلى هذه الحالة لولا الحد أو القصاص.

٣- قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٧٩] والعبرة من ذلك أن المفسد إذا علم أنه

سيقْتَلُ لو أنفذ عزمه في القتل، لكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة له ولغيره، وصون للنفوس، وقد جاء في الكتب المتقدمة: "القتل أنفى للقتل"(١).

٤- قال تعالى عند إيقاع العقوبة على فئة من المفسدين: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢] "ليكون ذلك أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما، فإن الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب"(٢).

ثانياً: الاستئصال والتدمير:

وإن من رحمة الله بعباده لزجرهم عن الفساد وليرجعوا إلى فطرتهم الطيبة الصالحة، أن يهلك المفسدين بعذاب رادع جامع، فيستأصلهم ويترك آثارهم قرى مدمرة، لتكون عبرة لمن بعدهم، فالله تعالى لا يأخذ القرى بالعذاب إلا إذا أفسد أهلها، وظلموا وبدلوا نعمة الله كفراً، ففناء الأمة أو استئصالها مرتبطٌ بفسادها وظهور المترفين فيها، وخروجهم عن حالة الصلاح، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وقد جاء القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تبين مصارع الظالمين والمفسدين، وكيف أن الله قد استأصلهم بالعذاب، وبقيت آثارهم مدمرة لتكون

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٥١/١).

(٢) صفوة التفاسير (٢٧/٢)، ط: دار الصابونى للطباعة والنشر ١٤١٧هـ.

عبرة وردعاً للمفسدين بعدهم قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢].

وسياق الآية جاء تعقيباً على تسعة رهط من ثمود، كانوا يفسدون في الأرض ولا يعرفون للصلاح سبيلاً.

ثالثاً: عذاب الخزي:

من رحمة الله بعباده أن يظهر أمر المفسدين، ويكشف خفايا نفوسهم، فيخزهم في الدنيا،

ويبطل كيدهم، ويدمر بنيانهم، ليكون ذلك رادعاً وزاجراً للناس؛ لئلا يتلبسوا بالفساد ويفتتن الخلق بهم، ولعل هذه الشدة على المفسدين تردع من كان في قلبه ذرة خير، ليعود إلى رشده ويتوب إلى ربه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤] والسياق القرآني يعلنها حرباً شديدة على المفسدين بما يناسب فعلهم، فيلحق بهم الخزي والصغار، ويمكن توضيح ذلك في النقاط الآتية:

١- القتل والصلب، وما فيه من الخزي والذل بعد الموت، فإن من إكرام الميت الإسراع في دفنه[1] ولكن هؤلاء المفسدين لا كرامة لهم حتى بعد موتهم، بل يصلب المفسد منهم أشهراً على قارعة الطريق خزي له وعبرة لغيره[2]

(١) المغني لابن قدامة المقدسي (٤٥٢/٢)، نشر: مكتبة القاهرة ١٣٨٨هـ.

(٢) المبصر لنور القرآن الكريم، نائلة هاشم صبري (١١٦/٦) دار الجندى ٢٠٠٣م.

وهل هناك من خزي وذل أشد من ذلك.

٢- تقطيع الأيدي والأرجل، وما فيه من الخزي لمن وقع عليه الحد بما يجعلهُ منُكسرَ النفسِ طيلةَ ما تبقى له من عمره، وتجعلهُ عبرةً لغيره، إلا أن يتوب توبةً نصوحاً يكون معها راضياً بحكم الله، فيكون الرضا تسليةً له.

٣- نفي المفسدين من الأرض وما فيه من إبعادهم عن الأهل، أو العشيرة، أو العصابة، أو الحزب الذي يتقوون به، فيشعرهم النفي بالغربة والضعف والخزي والذل والهوان، فلعل شعورهم بالضعف والوحدة أن يردعهم، ويضع حداً لتطاولهم على الناس، ويفسح لهم باباً للتوبة وصدق التوجه إلى الله، أو أن يجدوا لهم من الصحبة الخيرة من تأخذ بأيديهم ليستأنفوا حياة كريمة من جديد.

رابعاً: سوء الخاتمة:

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن يتعرض المفسدون عند موتهم للشدائد والمواقف المفزعة، ليكونوا عبرة لغيرهم، فيتعظ الناس من سوء خاتمتهم، فيعودوا إلى الله تعالى وتستقيم حياتهم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يعزز هذا القول وبيان ذلك فيما يلي:

١- سوء خاتمة قارون، **إن خاتمة قارون ونهايته مفزعة حقاً، وذلك أن المرء إذا خسف به في بطنها، فهو أمر مفزع مخيف! تضطرب منه القلوب، وتذهل منه العقول، وتهتز له الأركان، ويترك معانيَ كبيرة، تكشف عن المصير الفاضح والخزي الذي آل إليه من تعرض لهذا الخسف، لذا لما خسف الله الأرض بقارون وبيته، اهتزت قلوب الذين تمنوا مكانته وعلوه**

وفساده في الأرض، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِين * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٨١، ٨٢]، فكان الخسف رادعاً وزاجراً لكل من تمنى الفساد والعلو.

٢- سوء خاتمة فرعون، لقد كانت نهاية فرعون الطاغية المستعلي المتجبر نهاية مفزعة مذلة؛ إذ أغرقه الله ومن معه من الجند في البحر، فلطمته الأمواج على وجهه من كل جانب، حتى إذا أحس بحقيقة ضعفه، قال على استحياء بعد فوات الأوان: ﴿ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]، وقد كان بوسعه أن يعلنها مدوية وهو سيد في قصره، ويكون من السابقين الأولين، ولكن فساده وطغيانه صده عن الحق، فلا بد أن يدفع ثمن هذا الفساد والعلو والطغيان، حسرةً وندماً في الحياة قبل الممات، وقد قذفه البحر جثة هامدة، ليكون لمن بعده عبرة وآية، فهذه هي نهاية المفسدين، ندم عند الموت، وميتة شنيعة يؤخذ فيها المفسدون وهم في قمة فسادهم وطغيانهم، ليكون ذلك أنكى لهم.

قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق من ختم الله ببعثته النبوات، عليه وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكمالات، وبعد:

فإن منهج القرآن الكريم في حماية النّزاهة ومكافحة الفساد منهج متكامل، وضمانة أساسية للإدارة الرشيدة في القيام بواجبها الوظيفي قيامًا محموداً، يُحَقِّق النفع والخير للعامِلين، ويُفعِّل أنظمةَ العمل وقوانينه، ويحقِّق الفائدة والتطوير لهذا العمل.

ومما يزيد من أهمية هذا المنهج أنه يؤسس الإدارة الرشيدة –أول ما يؤسس– على مبدأ الأمانة، ومن لَوازِم الأمانة الإخلاص في العمل وعدم التهاوُن به؛ لأنَّه لا يمكن القِيام بالعمل على أكمل وجهٍ وأحسنه إلاَّ إذا تحقَّق فيه الإخلاص من العامل نفسه؛ فالإخلاص هو الباعث الذي يحفِّز العامل على إتقان العمل، ويدفعه إلى إجادَتِه، ويُعِينه على تحمُّل المتاعب فيه، وبذْل كثيرٍ من الجهد في إنجازه، وتوافر هذا الخلق الكريم في العامل من العوامل الرئيسة التي تَحُول دون وقوع الخلل والانحِراف عن الطريق الصحيح في أداء العمل، فهو بمثابة صمام الأمان ضدَّ الفساد بكلِّ صوره وأشكاله.

هذا وقد قسمت بحثي إلى تمهيد وخمسة مباحث، وقسمت كل مبحث إلى عدة مطالب، انتهيت فيها إلى عدد من النتائج أهمها:

١- أن بلادنا تستقي أحكام أنظمتها من القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه المستنبط منهما، وفي هذا ضمانة كبرى لتحقيق الاستقرار والأمن العام، وحماية النّزاهة ومكافحة الفساد بصوره لا تنفك عن عقيدة المؤمن، المبنية

على كثير من الثوابت الشرعية أهمها: الأمانة والإخلاص.

٢- حماية النّزاهة فريضةٌ شرعية تواترت الأدلة من القرآن الكريم على فرضيتها، وجعلتها وسيلة تعبدية لا تنفك عن العبادة بأركانِها الشرعية تقوم في جميع صورها على إصلاح النيَّة، وإخلاصِها لله تعالى، وأن ذلك يرتفع بمنْزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعله عملاً صالِحًا مُتَقبَّلاً له الأجر العظيم عند الله تعالى.

٣- أن الموظف العالِم مطالب شرعاً بألاَّ يستغلَّ موقعه في العمل لجرِّ منفعة شخصيَّة له ولقرابته وصداقته، أو للاستِيلاء على المال العام بطُرُق ملتويَة، أو لصرف العهدات الماليَّة ونحوها في غير ما خُصِّصت له، أو للتكسُّب المادي غير المشروع؛ كتلقِّي الهدايا والرَّشاوَى مقابل خدمات وتسهيلات للمُهدين أو الراشين يقول تعالى عن هذا ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

٤- يوجِّه الإسلام إلى عدَم إسناد العمل إلا لِمَن تتوافَر فيه الأهليَّة والكفاءة لهذا العمل؛ يقول تعالى على لسان يوسف -عليه السلام-: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]. ويقول تعالى على لسان ابنة الرجل الصالح حين طلبت من أبيها استِئجار نبيِّ الله موسى -عليه السلام-: ﴿ يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] فعبَّرت بقوله: "القوي الأمين" عن توافر الكفاءة فيه للعمل عند أبيها في رعي الماشية والقيام على شؤونها.

٥- من شأن شعور الموظف العام بأن الوظيفة العامة أمانة، والأمانة حملٌ

عظيم ناءت به السماوات والأرض، أن تتكون لديه عقيدة إيمانية راسخة بأنه مؤتمنٌ على وَظِيفته وما ينتج عنه من واجبات ومسؤوليَّات، وأي غشٍّ لمهامِّ وظيفته، كإبداء رأي فني لترجيح مصلحة شخصيَّة، أو اتباع أسلوب أكثر كلفةٍ من الناحية الماليَّة لهوًى في النفس، قد يَحرِمه من دُخول الجنَّة.

وفي الختام فإن البحث يوصي بما يلي:

١- تنمية الوعي الوظيفي لدى الموظف بكافة الأصول الشرعية التي تحكم سلوكه، بحيث يؤمن بأن الوظيفة العامة أمانة لا تنفك عن عبادته لربه عبادة خالصة لوجهه الكريم.

٢- عقد دورات متخصصة، وإصدار دوريات علمية في إطار منهج القرآن الكريم الخاص بحماية النّزاهة ومكافحة الفساد.

٣- تضمين المقررات الدراسية وكتب الثقافة الإسلامية مفردات هذا المنهج القرآني حماية للموظف العام من غوائل الفساد والانحراف، وخاصة أن هذا المنهج يصحبه حال كونه طفلاً برئياً، ويشب عليه؛ ليكون سلوكاً عاماً يضبط واقع الحياة ويصحح الأخطاء....

وفي الختام ...

فإني أحمد الله تعالى أن يسر لي الكتابة في هذا الموضوع المهم.

أسال الله أن يتقبل هذا البحث، وأن ينير به الطريق، وصلاة وسلاماً على أشرف الخلق وحبيب الحق، وعلى آله وصحبه الأطهار الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والتلاق.

|||

المصادر والمراجع

أولاً: أهم المصادر والمراجع الشرعية:

١. الأحكام السلطانية: أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة.
٢. أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (المتوفى: ٣٧٠هـ) ط١، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
٣. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن، سيد الدين علي بن أبي علي ابن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان.
٤. الأموال: أبو عبيد بن القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) تحقيق محمد خليل هراس – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٩٨٦م.
٥. أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، الرسالة ط١، ١٤٢١هـ.
٦. البحر المحيط: أبوحيان، محمد بن يوسف علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ.
٧. الجرح والتعديل: أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.
٨. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٧هـ.

٩. المقتطف من عيون التفاسير: مصطفى بن الحسين الخيري الحصني، تحقيق: محمد علي الصابوني دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.
١٠. أنوار التنْزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.
١١. التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية: محمد عَبْد الحَيّ بن عبدالكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ) المحقق: عبد الله الخالدي، الناشر: دار الأرقم– بيروت، الطبعة: الثانية.
١٢. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) المحقق: الدكتور/ عبد الله ابن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
١٣. تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: أبو عبد الله القلعي، مكتبة المنار– الأردن، الزرقاء، ط: الأولى، تحقيق: إبراهيم يوسف – مصطفى عجو.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر ابن عبدالله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٥.جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١٦.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى: ٦٧١هـ)، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
١٧.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبدالباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.
١٨.زاد المسير: جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الكتاب العربي بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ.
١٩.السياسة الشرعية: تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم ابن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.
٢٠.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١.صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر ط١: ١٤١٧هـ.

٢٢.غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.
٢٣.فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار الفكر، دمشق – بيروت ط١، ١٤١٤هـ.
٢٤.الكشاف عن حقائق غوامض التنْزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٥.لسان العرب: محمد أبوالفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٦.مجموع الفتاوى: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٢٧.محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.
٢٨.معالم التنْزيل: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد (المتوفى: ٥١٦هـ) (ب.ط)، طبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٦هـ.
٢٩.معاني القرآن: للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل شلبي عالم الكتب، بيروت.

٣٠.مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.
٣١.المبصر لنور القرآن: نائلة هاشم صبري، دار الجندي للنشر ٢٠٠٣م.
٣٢.المغني لابن قدامة: ابن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٦٢٠هـ) مكتبة القاهرة ١٣٨٨هـ.
٣٣.المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، (المتوفى ٣٦٠ هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله ابن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.
٣٤.المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ.

ثانيا: مصادر في النظام الإداري:

١. http://www.nazaha.gov.sa/ موقع الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد.
٢. إستراتيجية الإصلاح الإداري وإعادة التنظيم في نطاق الفكر النظريات: د/ صافي إمام موسى (١٤٠٥هـ ١٩٨٥م). ط:١. دار العلوم للطباعة والنشر. الرياض.
٣. الأمانة في الأداء الإداري: د/ مهدي بن إبراهيم بن محمد، (١٤١٥هـ ١٩٩٤م). ط١، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة.
٤. الفساد السياسي النظرية والتطبيق، د/ إكرام بدر الدين، طبعة ١٩٩٢م. دار الثقافة العربية، القاهرة.

٥. مقدمة الإستراتيجية الوطنية لحماية النّزاهة ومكافحة الفساد الصادر بقرار مجلس الوزراء رقم (٤٣) وتاريخ (١٤٢٨/٢/١هـ) والمنشور في العدد رقم (٤١٤٠) من جريدة أم القرى بتاريخ (١٤٢٨/٨/٢٦هـ) الموافق (٢٠٠٧/٣/١٦م).
٦. مقدمة في الإدارة الإسلامية: د/ أحمد داوود الزجاجي، ط١، جدة، نشرة المؤلف، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

